
محمود صلاح
أشهر الحوادث والقضايا
سمهان
ليلة الأخيرة
FAYROUZ2006
www.dvd4arab.com



أشهر
الحوادث والقضايا

•

الحوادث العنيفة
والقضايا المثيرة
التى روّعت الناس
وصدمت المشاعر

•

بقلم
أ. محمود صلاح

•

إشراف
أ. حمدى مصطفى

طباعة ونشر المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنشر والتوزيع بالقاهرة - المطابع : ٨ ، ١٠ شارع المنطقة الصناعية بالعباسية - منافذ البيع : ١٠ ، ١٦ شارع كامل صدقى الفجالة - ٤ شارع الإسحاقى بمنشية البكرى روكسى مصر الجديدة - القاهرة ت : ٦٨٢٣٧٩٢ - ٥٩٠٨٤٥٥ - ٢٥٨٦١٩٧ ، فاكس : ٢٠٢/٢٥٩٦٦٥٠ ج.م.ع - ٤ شارع بدوى محرم بك - الإسكندرية .

2



أشهر
الحوادث والقضايا

•

الحوادث العنيفة
والقضايا المثيرة
التى روعت الناس
وصدمت المشاعر

أسمهان
الليلة الأخيرة

محمود صلاح

طباعة ونشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع
ت : ٥٩٠٨٤٥٥ - ٦٨٣٥٥٥٤ - ٢٥٨٦١٩٧
فاكس : ٦٨٢٧٠٠٢

المقدمة

أسمهان ..

صوت من القمر وقصة مثيرة على الأرض ..

عرفت طعم الفقر .. وعاشت حياة الأميرات ..

كانت صاحبة أروع ضحكة .. لكن عينيها كانتا بئرى أحزان ودموع ..

كانت حياتها قصيرة .. لكنها عاشت الدنيا حتى الثمالة .

أسمهان ..

بقيت أغانيها تدغدغ القلوب ..

ومأساتها .. تدمى العيون ..

محمود

الفصل الأول

الأسماء وهمية ..

القصة حقيقية !

هذه واحدة من أشهر قصص الحب التى دخلت تاريخ الصحافة والفن فى العالم العربى .

وهى أيضًا قطعة مثيرة من دراما السعادة والشقاء .. المكتوبة على كثير من البشر فى هذه الحياة .

وفى نفس الوقت هى صفحة خفية من كتاب الأسرار .. الذى سطره البعض فى وقت ما على أراضى البلاد العربية .. بالجرأة أحيانًا والتهور أحيانًا أخرى .. بالشجاعة والإقدام تارة .. والتراجع والإستسلام تارة أخرى .

وهى فى النهاية قصة رجل وامرأة .

كانا ذات يوم ملء السمع والبصر .

الرجل .. هو أمير الصحافة محمد التابعى .

والمرأة .. هى أسمهان صاحبة أجمل قيثارة بين الأصوات العربية .

أما القصة .. فهى قصة الغرام الخفى الذى جمع بين قلبه وقلبها .

* * *

• فى يوم من الأيام فى مصر .

كان محمد التابعى أخطر صحفى فى العالم العربى .

حتى استحق فيما بعد لقب « أمير الصحافة » بحق .. فهو لم يكن فقط صحفيًا موهوبًا يعرف كيف يعثر على الأخبار الخطيرة المهمة .. بل كان أيضًا صاحب أسلوب خاص ومتميز فى الكتابة .

وفى بداية حياته عمل محمد التابعى فى معظم فنون الصحافة .. فكتب عن الفن والرياضة .. كما كتب عن الحياة والحب .. كتب عن الناس البسطاء .. لكنه كان يصادق الساسة والكبراء .

وبعد أن ساعد التابعى « روزاليوسف » فى إصدار مجلتها التى ما تزال حتى اليوم تحمل اسمها .. فإنه تركها بعد فترة قصيرة ليصدر مجلته الخاصة « آخر ساعة » .

وعاش محمد التابعى حياة أشبه بالأسطورية فى عالم الصحافة .. فقد كان على علاقة وثيقة بالسياسة والأحزاب فى مصر .. وفى العالم العربى أيضًا .. وكما كان يمشى على قدميه فى شوارع القاهرة ليرصد حياة الناس العاديين .. كان يتردد بشكل شبه يومى على قصر الملك فاروق ليحصل على الأخبار المثيرة والقصص الصحفية الخطيرة .

وكما كان التابعى قريبًا من أم كلثوم ونجيب الريحانى ، كان فى وقت من الأوقات قريبًا من الملك فاروق ملك مصر والسودان فى ذلك الوقت .

بل إن محمد التابعى عايش الملك فاروق حتى قبل أن يصبح ملكًا رسميًا .. وكان الملك فؤاد قد مات وانتقل عرش مصر إلى ابنه فاروق ، والذى كان قد بقيت له شهور قليلة حتى يبلغ السن الرسمية التى تؤهله لحمل الصولجان .. وتقرر أن يسافر الملك الشاب مع أمه الملكة نازلى وشقيقاته الأميرات فى رحلة خاصة إلى بعض بلدان أوروبا .. تمهيدًا لعودته لتولى تقاليد الحكم فى البلاد .

وكان محمد التابعى هو الصحفى الوحيد الذى رافق العائلة المالكة فى هذه الرحلة ، والتى بدأت بسويسرا . وهناك حدثت أزمة ملكية .. فلقد انطلقت الملكة نازلى على سجيتها .. وكانت قد عاشت طويلاً حبيسة قصر الملك الراحل فؤاد .. وأرادت أن تتعلم التزحلق على الجليد .. ووقفت تتمايل وتترنح ترتدى « قبقاب » التزحلق .. وتكاد تسقط بين أيدى المدربين السويسريين ، والتقط بعض المصورين صورها ، ونشرت الصحف المصرية هذه الصور .. فخرجت مظاهرات من طلبة الأزهر تندد بطيش الملكة الأم !

وفى القطار الذى كان يغادر سويسرا ، أقبل الملك الشاب فاروق غاضبًا نحو محمد التابعى ـ وقد ظن أنه وراء نشر هذه الصور ـ وكان الملك فى العادة ينادى أمير الصحافة بقوله « يا تابعى » ، أما إذا كان غير راض عنه فكان يناديه « أستاذ محمد » !

وعاتب الملك فاروق محمد التابعى بلهجة جافة ، فما كان من أمير الصحافة إلاّ أن رد عليه وأخبره أنه غير مسئول عن نشر هذه الصور .. وأضاف أنه قد جاء فى هذه الرحلة على حسابه الخاص ، وأنه سوف يغادر القطار فى المحطة القادمة ، وهذا ما فعله بالضبط !

هكذا كان أمير الصحافة يتحدث ويتصرف ، أمام الملوك !

* * *

● وذات يوم ..

اتصل الموسيقار محمد عبد الوهاب بمحمد التابعى .. وطلب منه أن يأتى لزيارته فى مكتبه بعمارة الإيموبيليا فى ساعة معينة ، وعندما سأله التابعى عن سبب الدعوة .

● قال له محمد عبد الوهاب : سوف أعرفك إلى امرأة !

ـ رد التابعى : وماذا فى هذه المرأة ؟

● قال محمد عبد الوهاب : هى دى اللى حاتجيب .. داغك !

وابتسم محمد التابعى ساخرًا وهو يضع السماعة وينهى المحادثة مع صديقه محمد عبد الوهاب .

ولم يكن التابعى يتصور أبدًا وجود مثل هذه المرأة التى يمكن أن « تجيب داغه » . فقد اشتهر بأنه « دون جوان » خطير . فقد كان وسيمًا ومشهورًا وأعزبًا ، وكانت له مغامرات عاطفية عديدة فى مصر وفى أوروبا .

ومع ذلك ..

فقد ذهب التابعى إلى مكتب محمد عبد الوهاب فى الموعد المحدد .. وهناك فوجئ بامرأة نحيلة القوام جميلة الملامح ذات عيون ساحرة ، لكنه لاحظ أنها ترتدى ملابسها وتتصرف وتتحدث بطريقة تحاول الإيحاء فيها بأنها أرستقراطية .

● وقال له محمد عبد الوهاب : أقدم لك .. مدام أسمهان !

وعرف التابعى من محمد عبد الوهاب ، أنه يتفق مع أسمهان على تلحين بعض الأغانى لتؤديها فى أحد أفلامها .

ولم تستمر المقابلة طويلاً .. وغادرت أسمهان مكتب محمد عبد الوهاب ، وعندما انصرفت سأله عبد الوهاب عن رأيه فيها ؟

ـ قال محمد التابعى : إنها تتصرف بطريقة مصطنعة ، ولم أشعر نحوها سوى بالشفقة !

ابتسم محمد عبد الوهاب ..

● وقال للتابعى : ورغم ذلك .. هذه هى المرأة التى سوف « تجيب داغك » .

* * *

ومع ذلك فإن عبد الوهاب نفسه لم يكن ليخطر على باله أبدًا ، أن تكون هناك قصة حب من نوع خاص بين محمد التابعى وأسمهان .. ولعل أقصى ما كان يأمل فيه بذكائه الفنى ، أن يكتب الصحفى محمد التابعى عن أسمهان وأن يرعاها صحفيًا .

لكن ما حدث لم يقتصر على الرعاية الصحفية بين أمير الصحافة وأسمهان ، التى كانت تتصرف كأميرة حقيقية للدروز !

فقد اقترب التابعى كثيرًا من أسمهان ، كما اقتربت هى أيضًا منه ، وعرف أسرارها وقصة حياتها ، وشاهدها وهى تضحك

من السعادة .. ومسح دموعها وهى تبكى من الشقاء والألم !

ولقد كتب محمد التابعى كثيرًا عن أسمهان ..

وكتب عن مذكراتها وقصة حياتها .

لكن الحقيقة الكاملة ظلت مطوية حتى رحل أمير الصحافة عن هذه الدنيا !

ولا أعرف إن كانت المصادفة أو القدر ، هو الذى جعل قرينته السيدة هدى التابعى تعطينى بكامل إرادتها ذات يوم كل أوراق وصور محمد التابعى الشخصية ، ومن بين هذه الأوراق عثرت على قصة فيلم كتبه محمد التابعى باللغة الإنجليزية عن حياة أسمهان .. لكنه قام بتغيير اسم أسمهان إلى أصفهان وأعطى نفسه اسم وهبه . وهذه هى القصة التى كان مؤلفها الحقيقى هو القدر نفسه .

كتب محمد التابعى مقدمة لهذه القصة يقول فيها :

ـ « جميع الأسماء المذكورة هنا تعتبر وهمية .. ولكن هذه القصة حقيقية بالفعل . فهى فى الواقع جزء من التاريخ الخفى للحرب العالمية الثانية فى منطقة الشرق الأوسط » .

تلك كانت مقدمتى ..

ومقدمة أمير الصحافة ..

والآن .. إلى قصة أسمهان أو قصة الفيلم كما كتبها التابعى !

* * *

ولدت الأميرة إيملـى يوم ٢٥ نوفمبر ١٩١٥ ، وتوفيت غرقًا يوم ١٤ يوليو ١٩٤٤

لقد كانت جميلة وذات صوت عميق ساحر .

وقامت إيملى بأداء دور البطولة فى فيلمين .. أولهما « انتصار الشباب » . أما فيلمها الثانى والأخير فقد كان « غرام وانتقام » ، الذى أنتج عام ١٩٤٣ وعرض بعد وفاتها .

وعندما عرض هذا الفيلم فـى إحدى دور السينما فى بغداد .. حدث أن خرج شاب عراقى من السينما بعد إنتهاء عرض الفيلم واشترى جريدة مسائية .. وما أن قرأ فيها خبر وفاة إيملى .. حتى أخرج من جيبه مسدسًا ، وأطلق الرصاص على رأسه !

● وفى نفس الوقت ..

قام شاب سورى آخر فى دمشق .. فور سماعه خبر وفاة إيملى بتجرع السم .. لكنهم أسعفوه ونقلوه بسرعة إلى المستشفى حيث تمكن الأطباء من إنقاذ حياته !

★ ★ ★

● عام ١٩٢٥ ..

اندلعت ثورة الدروز فى سوريا ضـد الفرنسيين الذين أعلنـوا الانتداب على البلاد .. وضربوا جبل الدروز وقراهم بالقنابل .. وقتها كانت إيملى فى العاشرة من عمرها .. كانت جميلة وتتمتع بصوت

أخاذ .. لكن غناءها كان حزينًا جدًّا ومليئًا بالشجن ، وكأنها كانت وهى طفلة تشعر بأن نهايتها سوف تكون حزينة وعنيفة !

وعندما اندلعت ثورة الدروز ..

أخذتها أمها إلى بيروت مع شقيقيها .. ومن هنـاك انتقلوا إلـى القاهرة ، وعاشوا على ثمن مصوغات والدتها لمدة شهور .. لكنهم بعد ذلك بدأوا يعانون من الجوع !

كانت الطفلة إيملى مريضة ..

وكانت ترتدى شبشبًا خفيفًا فى قدميها ، عندما كانت تمشى فـى شوارع القاهرة الموحلة بتأثير الأمطار .. وكبرت وهى تحمل رئـة ضعيفة .

وبدأت الأم تحيك الملابس للجيران .. وبذلك أصبحت الأسرة تكسب نقودًا تكفى لشراء ضروريات الحياة .. وكـانت الأم « بسيمة » ذات صوت جميل .. واعتادت أن تغنى وهى تعمل على ماكينة الحياكة .

وكان يعيش بجوارهم موسيقى وعازف معروف يدعى ديفيد ..

وسمع ديفيد غناء الأم فقـام بزيارتها ، وسألها إن كـانت علـى استعداد لتسجيل بعض الأغانى التى سوف يمنحها لها .. وعرض عليها أن تأخذ عشرة جنيهات عن كل أسطوانة .

وبالطبع قبلت الأم هذا العرض بكل سرور ..

وهكذا استطاعت أن تشترى الملابس لها وللصغيرة إيملى ، التى التحقت بإحدى المدارس الفرنسية المنتشرة فى القاهرة فى ذلك الوقت .

★ ★ ★

● وذات يوم زار الموسيقى ديفيد الأسرة ..

وكانت الصغيرة إيملى قد عادت من المدرسة ، وكانت تغنى وهى تغسل ملابسها فى الحمام .

ودهش ديفيد لجمال وعمق وحزن صوتها !

وقبل أن يغادر البيت كان قد تعاقد مع الصغيرة إيملى على تسجيل بعض الأغانى على أسطوانات .. على أن تتقاضى عشرة جنيهات عن كل أسطوانة ، وهو نفس المبلغ الذى كانت تتقاضاه أمها !

وسرعان ما ذاع صيت إيملى كمغنية ..

وفى أحد الأيام عادت من المدرسة إلى البيت وعيناها محمرتين من كثرة البكاء .. وقالت لأمها والدموع تنحدر من عينيها : إن زميلاتها فى المدرسة سخرن منها لأنها مغنية محترفة .. وأعلنت وهى تمسح دموعها أنها لن تعود إلى المدرسة أبدًا !

★ ★ ★

● كان ذلك عام ١٩٣٠ ..

وكانت إيملى وقتها فى الخامسة عشرة من عمرها .

وهكذا تركت المدرسة نهائيًا وبقيت فى البيت ، وتحسن عقدها مع شركة الأسطوانات ، وأصبحت تتقاضى ٢٠ جنيهًا عن كل تسجيل .

●وفى عام ١٩٣٢ ..

حضر إلى القاهرة ابن عمها الأمير حسن .. وذهب مباشرة إلى شركة الأسطوانات .. ومن هناك حصل على عنوان الأسرة .. وفوجئت الأم بظهور الأمير حسن .. الذى بدا فى شدة الغضب .. لكنه طلب يد إيملى للزواج ، ولم تكن الأم ترغب فى أن تفقد الدجاجة التى تبيض ذهبًا .. فردت عليه بكل رزانة .

- إن البنت .. ما تزال صغيرة جدًا على الزواج !

لكن الأمير حسن هدد بأنه سوف يعود إلى جبل الدروز .. ويبلغ العائلة بأن إيملى احترفت الغناء .

● وقال للأم : وبالتأكيد .. فإنهم سوف يرسلون أحد أفراد العائلة لقتلك .. وقتلها !

وهكذا اضطرت الأم إلى الموافقة ..

ودفع الأمير حسن لها ٥٠٠ قطعة ذهبية .. ووعد بأن يرسل لها ١٥ جنيهًا كل شهر .. وهكذا تزوجت إيملى من ابن عمها

الأمير حسن .. الرجل الذى لم تحبه .. ورحلت معه إلى جبل الدروز حيث عاشت كأميرة !

★ ★ ★

● فى العام التالى ..

حملت إيملى وأنجبت طفلة أسمتها كريمة .. لكنها بعد شهرين طلبت من زوجها الطلاق .. لكن الأمير حسن رفض لأنه أحبها .. فقالت إنها سوف تنتحر إذا لم يطلقها .. فاضطر للموافقة مرغمًا عندما تأكد من نيتها .. وعادت إيملى إلى القاهرة .. وكانت أمها سعيدة لأنها تستطيع الآن أن تحصل على المزيد من النقود !

أصبحت إيملى تغنى فى الملاهى الليلية تحت اسم « أصفهان » . وكانت تظهر على المسرح دائمًا وهى ترتدى الأسود .. وهو اللون الذى أظهر بياض وجهها .. وكانت عيناها خضراوين لامعتين ذات رموش طويلة .

وكثيرًا ما حاول أصحاب هذه الملاهى أن يقنعوها بمجالسة زبائنهم الأغنياء ، لكنها كانت دائمًا ترفض بشدة ، وسرعان ما ذاعت شهرتها فى القاهرة وأنحاء مصر .. وزاد الطلب على تسجيلاتها الغنائية وبيعت بآلاف الجنيهات .

وفى إحدى الليالى تلقت إيملى باقة زهور جميلة ومعها رسالة .. وكانت هذه الرسالة من صحفى لامع كتب يقول : إنه أحب

صوتها وإنه يحترمها لرفضها مجالسة الرجال .. ولكن هل لها أن تقبل تناول الغداء معه يومًا ما فى أى مطعم .. وبإمكانها أن تحضر معها صديقة أو اثنتين إذا أرادت .. وأنهى الصحفى رسالته قائلاً : « إننى ليس لدى أية نية سيئة على كل الأحوال » !

★ ★ ★

وقبلت إيملى دعوة الصحفى اللامع ..

وتناولت معه الغداء مرة ثم مرتين .. وتحول ذلك إلى موعد يومى .. وكانت دائمًا تذهب لمقابلته بمفردها .. لأنها وثقت به .. وبعد مرات قليلة من هذه اللقاءات وقع حبه فى قلبها .

● وذات مساء ..

وأثناء خروجها من الملهى الليلى الذى تغنى فيه .. طلبت منه أن يصطحبها إلى شقته حيث يمكنها تناول العشاء متأخرًا .. وكان هو مسرورًا وفى غاية السعادة من ذلك .

وفى شقته سألته ما إذا كان لديه بعض الويسكى أو الشمبانيا .

● فقال لها مبتسمًا : الاثنين !

وأخبرته أنها ورثت صوتها الجميل عن أمها أما عن والدها الراحل فقد ورثت منه حب شرب الخمر .. وهكذا ظلت تحتسى الكثير من الويسكى .

● فسألها : لماذا تشربين كثيراً ؟

ـ أجابته ضاحكة : إن قلبى يتحطم عند رؤيتى الكأس فارغًا .. ويتحطم عند رؤيتى للكأس مليئة .. لذا على أن أملأه وأشربه !

وقضت أصفهان الليلة فى بيته ..

وفى اليوم التالى أحضرت كل ملابسها وأحذيتها لتقيم مع الرجل الذى أحبته .

ولم تعترض أمها لأنها كان لها أيضًا حبيبًا .. لم تستطع أن تخفيه عن ابنتها !

وهكذا أصبحت إيملى أو أصفهان حبيبة الكاتب الصحفى ..

وللمحافظة على المظاهر اشترى لها خاتمًا ذهبيًا لبسته .. وأذاعا بين أصدقائهما أنهما مخطوبين وسوف يتزوجا فى نهاية العام .

★ ★ ★

● حدث ذلك كله فى مارس ١٩٣٩ ..

وكان عمر إيملى وقتها ٢٤ عامًا .. بينما كان الكاتب الصحفى وهبه فى الأربعين من عمره .

ثم اندلعت الحرب العالمية الثانية فى سبتمبر ١٩٣٩

واستمرت إيملى أو أصفهان ووهبه فى الذهاب إلى الحفلات والأندية الليلية .. لكنها لم تعد تغنى فى هذه الأندية .. وكانت فقط

توافقه على أن تغنى فى حفلات خاصة فى المنازل .. مثل حفلات الزواج وما شابه .

● ومضى عام ١٩٤٠ ..

وقالت إيملى لوهبه إنها لا تستطيع الاستمرار فى العيش معه كحبيبة فقط .. فقد كانت تنحدر من عائلة كريمة .. وكان العديد من أفراد المجتمع فى القاهرة يعرفون عائلتها .

وباختصار فقد كانت تشعر بالعار من هذه الحياة ومن نفسها لكن وهبه رفض الزواج منها ، وكانت النتيجة أنهما انفصلا ، رغم أن كل منهما كان لا يزال يحب الآخر !

● وفى مساء يوم ٢٠ مايو ١٩٤١ ..

عاد وهبه إلى شقته ليجد إيملى جالسة فى حجرة المعيشة وهى تحمل فى يدها كأسًا من الويسكى .. فقد كانت معها نسخة إضافية من مفتاح الشقة !

وظن وهبه أنها جاءت لتعيش كما كانا من قبل .. لكنه سرعان ما عرف السبب .. فقد جعلته يقسم على القرآن أن يحفظ سر ما سوف تقوله له .. ثم أخبرته أن السيد فورمان من السفارة البريطانية فى القاهرة .. قابلها فى حديقة فندق الكونتينينتال .. وطلب منها أن تزوره فى مكتبه .. وعندما ذهبت إليه فى ذلك الصباح .. اصطحبها إلى بيته .. وقدمها إلى السيد روبرت بلوم .. والذى كان اسمه الحقيقى لورد كليفترن رئيس المخابرات الحربية فى الشرق الأوسط .

وأبلغها روبرت بلوم أن زوجها السابق الأمير حسن ما زال يحبها وسألها إن كانت مستعدة لمساعدة الحلفاء ضد النازيين وحلفائهم حكومة فيشى ؟

ـ أجابته أصفهان : نعم .

فقال لها روبرت بلوم إن الأمير حسن والدروز كانوا يساعدون حكومة فيشى فى سوريًا .. وأن دورها سيكون إقناع الأمير حسن وقادة الدروز بالانقلاب ضد قوات حكومة فيشى والوقوف إلى جوار الحلفاء .. الذين كانوا يستعدون لمواجهة قوات فيشى فى لبنان وسوريا .

● وسألها روبرت بلوم : هل بإمكانك القيام بذلك ؟

ـ ردت أصفهان : أنا واثقة من قدرتى على القيام بهذه المهمة !

فأعطاها ٥٠٠ جنيه لتسدد ديونها فى القاهرة .. ولتستقل القطار فى اليوم التالى إلى القدس .. حيث ستقابل السيد « تويدى » والذى سوف يزودها بكل التعليمات اللازمة .. وكذلك الأموال التى سوف تقدمها للأمير حسن وقادة الدروز .

ولهذا جاءت إلى شقة وهبه لتحكى له هذا السر الخطير ..

وفوجئ وهبه بأنها تحكى له كل شيء .

● سألها بابتسامة ساخرة : هل تريدين أن تصبحى ماتا هارى الحرب العالمية الثانية ؟

أجابته أصفهان والدموع فى عينيها .. بأنه منذ رفض الزواج منها لم يعد أمامها أى خيار سوى الرجوع إلى زوجها السابق وابنتها .

● وقضت تلك الليلة معه ..

وفى صباح اليوم التالى ذهب لوداعها فى محطة القطار !

* * *

● وصلت أصفهان إلى القدس ..

وتوجهت مباشرة إلى فندق الملك داود .. حيث سألت عن الجناح الملكى وأقامت به .. وسألت عن السيد « تويدى » الذى حضر وقابلها وأنهى كل شيء معها .

■ وفى صباح اليوم التالي ..

استقلت سيارة حربية وكانت تحمل معها ١٠ آلاف جنيه ذهب .. وتوجهت إلى جبل الدروز حيث رحب بها الأمير حسن ، وسألته إذا كان مستعدًا لمساعدة الحلفاء ضد قوات فيشى .. فأجابها بأنه مستعد لذلك .. ولكن بشرط واحد هو أن تتزوجه مرة ثانية .

● فوافقت أصفهان !

لكن مخابرات فيشى علمت بكل ما حدث .. وأسرعوا للقبض عليها .. لكن الأمير تاريس أحد زعماء القبائل فى صحراء سوريا سمع بذلك .. فأسرع إلى أصفهان وأخبرها بخطورة بقائها وعرض

عليها مساعدتها فى الهروب والعودة إلى القدس .. حيث يمكنها أن تبقى هناك ثم تعود مع قوات الحلفاء .. وهكذا صبغت أصفهان وجهها الأبيض باللون الأسود .. وتنكرت فى ملابس عبد صغير !

● وبدأت رحلة هروبها ..

وامتطت أصفهان صهوة حصان وتبعت حصان الأمير تاريس .. ونجحا فى اختراق الجبال عبر دروب سرية غير مطروقة فى الصحراء عائدين إلى القدس .

وفى القدس كان السيد « تويدى » سعيدًا بنجاح مهمة أصفهان ، وبالفعل بعد أسابيع قليلة عادت بصحبة قوات الحلفاء إلى جبل الدروز ، وحافظت على وعدها وتزوجت الأمير حسن ابن عمها ، وكانت قد حصلت فى الأصل من المخابرات البريطانية على ٤٠ ألف جنيه ذهب لتوزعها .. لكنها وزعت فقط ١٠ آلاف جنيه واحتفظت بالباقى لنفسها !

* * *

وأقيم حفل شبه أسطورى بمناسبة زواج أصفهان والأمير حسن ..

وحضر الحفل كبار الضباط والقادة فى قوات الحلفاء .. وأرسلت أصفهان برقية لوهبه فى القاهرة .. تخبره فيها أنها تزوجت فقط لتساعد الحلفاء .. ولكن « أنت حبى الأول والأخير وللأبد » .

وبعد مرور بضعة أسابيع تلقى وهبه برقية أخرى من أصفهان .. تقول فيها إنها مريضة جدًا ولابد من إجراء عملية جراحية لها .. وتسأله « هل يمكن أن تحضر إلى القدس لترانى قبل وفاتى » ؟!

● هكذا استقل وهبه القطار مباشرة ..

ووصل القدس فى الصباح وتوجه مباشرة إلى فندق الملك داوود .. حيث علم أن أصفهان تقيم فى الجناح الملكى بالطابق الثانى .. فركب المصعد وضغط على زر جرس الجناح .. ليفاجأ بأصفهان نفسها تفتح له الباب !

وعندما شم وهبه رائحتها وجدها مخمورة !

فاستشاط غضبًا لأنها خدعته وجعلته يترك عمله فى القاهرة .

● وسألها : هل تشعرين أنك بصحة جيِّدة وأنت مخمورة ؟

طوقت أصفهان عنقه بذراعيها وسحبته إلى غرفة الجلوس .. وأغلقت الباب وانهالت عليه بالقبلات .. وقالت له أن تلك كانت الطريقة الوحيدة التى تجعله يأتى إليها !

* * *

كان وهبه مرهقًا من طول السفر ، ولأنه لم يستطع النوم فى رحلة القطار .. فأعدت له أصفهان غرفة مجاورة آوى إليها لينام .. واستيقظ فى الرابعة بعد الظهر وأخذ حمامًا وارتدى ملابسه وذهب إليها .

وجدها مستلقية على الأريكة ..

وكانت أمامها زجاجة ويسكى وبعض زجاجات البيرة ..

● وسألها : هل تشربين والشمس ما زالت مشرقة ؟

ـ ردت عليه : ولِمَ لا ؟

● قال لها : لا يجب على المرء أن يشرب قبل المساء .

نهضت أصفهان من على الأريكة .. وذهبت إلى النافذة وأغلقت الشيش وأنزلت الستائر ثم أغلقت مصابيح الإضاءة .

- واستدارت لتتدلى له ضاحكة : حبيبى .. إننا الآن بالليل !

وجلس الاثنان يشربان الويسكى !

ثم تناولا طعام العشاء معًا فى غرفة المعيشة .. وأخبرته أنها أنفقت ما يزيد على خمسة آلاف جنيه فى شهر واحد .. حيث استأجرت منزلاً كبيرًا مفروشًا فى بيروت .. لأنها لا تستطيع الحياة فى الجبل .. وكان الأمير حسن غاضبًا لعدم بقائها فى الجبل .. وفى نفس الوقت لا يستطيع البقاء معها فى بيروت .. بسبب مسئولياته كأمير وحاكم للدروز .

- وفجأة قالت أصفهان لوهبه : أعلم أنك مديون .. فهل يكفيك مبلغ ألفى جنيه ؟

● **عندئذ أحمَّر وجه وهبه ..**

ورد عليها بأنه ليس من هذا النوع من الرجال الذى يقبل أن يأخذ نقودًا من امرأة .. وأنه فخور بذلك .

اعتذرت له أصفهان ..

وبقى معها فى القدس أربعة أيام .

ثم عاد إلى القاهرة .

★ ★ ★



■ كانت قصة مثيرة بحق ..

هذه القصة التى كتبها للسينما ذات يوم أمير الصحافة محمد التابعى عن حكايته مع أسمهان .. لكنها أبدًا لم تصبح فيلمًا حتى اليوم !

روى التابعى فى هذه القصة قصة حياة أسمهان منذ بداية حضورها إلى مصر .. وحياة الشظف والمعاناة التى عاشتها فى طفولتها مع أسرتها فى القاهرة .. ثم رحلة النجاح والشهرة السريعة بسبب صوتها الملائكى .

ثم زواجها من ابن عمها الأمير حسن أمير الدروز ..

وتبرمها وضيقها بعد ذلك ..

وقصة قيام المخابرات البريطانية بتجنيدها للسعى من أجل أن تفيد الدروز معهم ضد قوات فيشى .. والمغامرات التى عاشتها .

وروى التابعى كيف سافر للقاء أسمهان فى القدس .. وأيامه معها هناك ..

كل ذلك فى قصة الفيلم .. التى قال إن وقائعها حقيقية .. وإن كانت الأسماء وهمية !

فقد أعطى أسمهان فى هذه القصة اسم .. أصفهان !

وسمى التابعى نفسه .. وهبه !

★ ★ ★

● ودارت أحداث الجزء الثانى من القصة .

قبل رحيل وهبه إلى القاهرة ..

أخذت أصفهان من وهبه وعدًا بأن يعود ليحتفل معها بعيد ميلادها يوم ٢٥ نوفمبر بعد ثمانية عشرة يومًا .

وفور سفر وهبه انطلقت إلى بيروت لتعيش حياة اللامبالاة والسهر.. حيث الحفلات ولعب القمار وتناول الخمور .. وسمع وهبه أن أحد عشاقها وكان يعمل فى بنك لبنانى قد أعطاها آلاف الجنيهات !

وعلى الرغم من أن أصفهان عرفت العديد من الرجال .. إلا أنها لم تحب غير وهبه .. كانت تعطى جسدها فقط لمن هو دونه .. أما قلبها فقد ظل معلقًا هناك فى القاهرة مع وهبه .

● ويوم ٢٤ نوفمبر ..

عاد وهبه إلى القدس ..

واتفق مع أصفهان على أن يقضيا الليلة التالية معًا للاحتفال بعيد ميلادها .

وفى الموعد المحدد فى التاسعة مساء ..

ذهب وهبه إليها لكنه لم يجدها !

وعندما سأل الخادم عنها .

ـ أجابه : إنها أسفل .. وستخرج سعادتها مع بعض الأصدقاء !

امتلأ وهبه بالغضب وشعر بأن الدماء تندفع إلى رأسه ..

هبط السلالم مسرعًا ولم ينتظر المصعد .

وبالأسفل وجد أصفهان تقف مع ضابطين بريطانيين .. وكان أحدهما يضع البالطو الفرو حول كتفيها .. وما أن شاهدت وهبه حتى اعتراها الخوف .. لأنها كانت تعلم مدى غيرته عليها !

رسمت أصفهان ابتسامة صفراء على شفتيها ..

ـ وقالت لوهبه باللغة العربية : أرجوك .. لا داعى للفضائح هنا !

ـ ثم أضافت باللغة الإنجليزية الركيكة : اسمح لى أن أقدم إليك صديقى العزيزين .. اللورد هاميلتون واللورد دوجلاس !

عندئذ انحنى وهبه ..

● وأمسك بذراعها قائلاً للرجلين : الظاهر أن سموها نسيت أننا دعونا بعض الأصدقاء الذين ينتظروننا بأعلى !

وتقبل الرجلان الموقف ببساطة ..

وقاما بتوديعها وتوديع وهبه وانصرفا ..

وسحبها وهبه من ذراعها إلى المصعد حيث صعدا إلى جناحها .. وعندما دخلا غرفة الجلوس أغلقت الباب بالمفتاح .. ثم التفت إليها وصفعها بكل قوته على وجهها مرة واثنتين وثلاثة !

● وسقطت أصفهان على السجادة تبكى ..

وبعد بضعة دقائق نهضت وهرعت إلى زجاجة ويسكى .. وضعتها على فمها لتشرب دون أن تخففها بشىء .. فأسرع وهبه ينتزع الزجاجة منها .. وألقى بها على الأريكة .

لكن أصفهان سقطت على الأرض وأخذت تقبل قدميه وهى ترجوه أن يصفح عنها .

● سألها : لماذا فعلت ذلك ؟ لقد طلبت منى أن آتى للاحتفال بعيد ميلادك .. ولقد تركت عملى وحضرت .. فلماذا ؟

ـ ردت أصفهان : أنا نفسى لا أعرف لماذا أتصرف بهذه الطريقة .. لكن تذكر يا حبيبى أننى يجب أن أكون لطيفة مع هؤلاء الناس .. لا تنسى إننى أعمل معهم .. وإننى معهم فى نفس القارب .. وهبه .. أنا لا أحب سواك !

■ وهكذا تصالحا ..

وقضيا الليلة معًا .. وفى صباح اليوم التالى غادر وهبه الفندق واستقل سيارة تاكسى متجهًا إلى محطة القطار .. الذى حمله إلى القاهرة .

* * *

استيقظت أصفهان لتكتشف أن وهبه غير موجود ..

أسرعت تلتقط سماعة التليفون لتسأله عن مكانه .. فأخبروها أنه رحل عائدًا إلى القاهرة .

لكنها فى مساء نفس اليوم ذهبت إلى سهرة فى ملهى ليلى مع لوردين شابين .

وفى اليوم التالى استقلت سيارة من القدس إلى بيروت ..

• وفى يوم ٢٣ ديسمبر ١٩٤٠ ..

اتصلت أصفهان بوهبه من فندق الملك داوود .. لأنها علمت أنها مهما أرسلت له من برقيات فلن يحضر إلى القدس .. وتوسلت إليه أن يحضر ليقضى معها عيد الكريسماس ورأس السنة .. وأقسمت له أنها لن تتركه وتذهب لغيره .

• كان وهبه يحبها فعلاً ..

ولهذا غادر القاهرة متجهًا إلى القدس ..

وفى الفندق وجدها مستلقية على الفراش مصابة بحمى شديدة .. فاستدعى طبيبًا هو البروفيسور زودك .. الذى كشف على صدرها بأشعة إكس .. فوجدها مصابة بالتهاب حاد فى الرئة الضعيفة .. ونصحها بالراحة التامة .. وعدم التدخين أو تناول الخمور .

وقبل أن ينصرف انحنى الدكتور على أذن أصفهان ..

ـ وهمس فيها : وأيضًا اللقاءات الحميمة .. ممنوعة !

★ ★ ★

• لكن أصفهان عادت للتدخين والشرب ..

واحتضنت وهبه بين ذراعيها طوال الليل .. واعترض وهبه فى البداية لكن كل اعتراضاته ذهبت أدراج الرياح أمام مشاعرها الحارة .. كان حبهما لبعضهما أقوى من نصيحة أى دكتور .

ثم كان على وهبه أن يرحل عائدًا إلى القاهرة ..

وسافر بعد أن اتفق مع ممرضة أن تعتنى بأصفهان .. وفى يوم رحيله وصل الأمير حسن .. ووقف أمام فراش أصفهان ليبلغها أنه أصبح الآن أضحوكة كل الدروز .. الذين سمعوا بقصة غرامها مع الصحفى المصرى .

وأضاف الأمير حسن قائلاً لها إنه رغم ذلك على استعداد لأن يصفح عنها ويسامحها وينسى كل شىء .. إذا عادت معه إلى بيتها فى الجبل !

وعندما رفضت أصفهان هددها الأمير حسن بأن يأخذها بالقوة .. فأسرعت تفتح درجًا صغيرًا بجوار فراشها .. والتقطت منه زجاجة دواء سام وشربتها بالكامل .. فاندفع الأمير يطلب الطبيب لإنقاذها .. وبعد دقائق وصل الطبيب وفتح فمها عنوة وأعطاها دواء جعلها تتقيأ السم !

وبعد أن غادر الطبيب المكان ..

• قال لها الأمير حسن والدموع فى عينيه : هل تكرهيننى لدرجة أنك تفضلين الموت على الحياة معى ؟!

ـ أجابته : أنا لا أكرهك .. لكنى لا أحبك وأنت تعلم ذلك جيدًا .. أرجوك اعطنى حريتى .. طلقنى !

أحنى الأمير رأسه نحو الأرض ..

وبعد لحظات رفعها .

● وقال لها : ليكن الأمر كذلك .. سوف أعطيك الطلاق .. لكن أحذرك إذا عدت أبدًا إلى بيروت أو إلى جبل الدروز .. فسوف تلقين حتفك .. وسوف أضع قناصة فى جميع الأنحاء فى لبنان وسوريا .. وسوف أعطيهم أوامرى لقتلك إذا وقعت أعينهم عليك .. إننى لا أحب أن أكون مسخة أو أضحوكة أهلى أو غيرهم !

■ **واستدار ليغادر الغرفة ..**

● بعد أن قال لها : الوداع .. إيملى !

* * *

● **ومضى أسبوع ..**

وتماثلت أصفهان للشفاء .. وأصبحت بصحة جيدة .. على الرغم من أنها كانت ما تزال هزيلة .. ولم تكن تدرى ماذا تفعل .. أو إلى أى مكان تذهب .. بسبب تهديد الأمير حسن بقتلها .

● **وفى اليوم التالى ..**

اتصل بها موظف الاستقبال فى الفندق .. وأخبرها أن هناك رجل يسأل عنها .

ـ سألته أصفهان : ما اسمه ؟

● رد موظف الاستعلامات : إنه يقول أنه الرجل الذى قابلته فى القطار يوم غادرت القاهرة فى مايو ١٩٤٠ !

لم تتذكر أصفهان أنها قابلت أى شخص فى القطار .. لكن لشعورها بالوحدة والقلق طلبت أن يرسلوا لها هذا الرجل .. الذى دخل عليها وانحنى وطبع قبلة على يدها .

أشارت أصفهان نحو المقعد لكى يجلس ..

ونظرت إليه بدهشة وهى تحدث نفسها بأنها رأت هذا الرجل بالفعل من قبل لكنها لا تتذكر أين ؟

● قال لها الرجل الغامض : لقد رأيتك فى القطار الذى حملك من القاهرة إلى القدس .. هل تسمحى لى سموك بأن أتحدث معك بحرية !

ـ ردت أصفهان : بالطبع .

● قال لها : لقد شبع وضاق البريطانيون منك .. لأنك تتحدثين علانية عن عملك معهم .. وتبوحين بأسرار لا يجب أن يعلمها أحد .. ولذلك فإنهم يريدون منك التزام الصمت للأبد !

ـ قاطعته أصفهان : ولكن كيف تسنى لك أن تعلم كل ذلك ؟

● أجابها الرجل الغامض بابتسامة : إن عملى أن أكتشف كل ما فيه الإنجليز والفرنسيون .. أو ما يخططون لعمله !

ـ سألته أصفهان بلهفة : من أنت ؟

● رد عليها : سوف تعلمين ذلك .. إذا وافقت على عرضى .

ـ قالت : وما هو عرضك ؟

● قال : أن تذهبى معى إلى أنقرة !

● ثم استطرد قائلاً : وهناك سوف تلتقين برؤسائى الذين أعمل لحسابهم .. وسوف يعطونك تفاصيل عملك الجديد وكل ما تطلبيه من أموال !

لكن أصفهان أخبرته أنها لا يمكنها أن تذهب إلى أنقرة .. لأن ذلك يعنى ضرورة مرورها عبر لبنان وسوريا .. وقد تقابل أحد من قناصة الأمير حسن ويقتلونها .

● قاطعها الرجل الغامض : أنا أعرف كل شىء عن ذلك .. وأستطيع أن أخفيك فى سيارتى حتى معبر الحدود اللبنانية .. ثم نستقل القطار من تريبولى ومن هناك إلى أليبو .. ونقوم بتغيير القطار ونستقل قطارًا آخر إلى أنقرة !

كانت أصفهان تعلم أن البريطانيين يدرسون كل صغيرة وكبيرة .. ولهذا فى النهاية فإنها وافقت على هذه المغامرة !

★ ★ ★

أرسلت أصفهان برقية إلى وهبه فى القاهرة ..

وأبلغته فيها أنها ذاهبة إلى أنقرة وسوف تقيم بفندق « أنقرة بالاس » .

كانت المسكينة قد فقدت أية قدرة على التفكير الصحيح ..

وفى ذلك الوقت كانت هناك رقابة على البرقيات .

وبالطبع تم قراءة برقيتها .. وتركها البريطانيون تبدأ الرحلة إلى أنقرة .. وتبين أن الرجل الغامض ما هو إلا عميل ألمانى من الأعداء .. وفى محطة القطار فى تريبولى تم القبض على أصفهان بواسطة رجال المخابرات البريطانية .. كما ألقوا القبض على العميل الألمانى .. وأجبروا أصفهان على مغادرة القطار !

واقتاد رجال المخابرات البريطانية أصفهان إلى فندق البارون لقضاء الليلة قبل العودة إلى بيروت فى الصباح .

وفى أسفل الفندق كان هناك ملهى ليلى .. توجهت إليه أصفهان المساء .. وطلبت ويسكى وطلبت من الفرقة الموسيقية أن تعزف لها لحنًا معينًا .. ووقفت وزجاجة الويسكى فى يدها لتغنى لرواد الملهى .

وعندما انتهت من الغناء ..

دوت الأيدى بالتصفيق الحاد ..

وفتحت أصفهان حقيبة يدها .. وأخذت ٢٠٠ جنيه .. أعطتها بقشيشًا لأفراد الفرقة الموسيقية !

★ ★ ★

• أعيدت أصفهان بالقوة إلى بيروت ..

وهناك نزلت فى بيتها المفروش تحت حراسة البوليس العسكرى .. وبذلك أصبحت آمنة من قناصة الأمير حسن .. لكن لم تكن هذه هى الحياة التى تريدها .

فاتصلت بالكولونيل العام للجيش البريطانى .. وتوسلت إليه أن يتركوها تعود إلى القاهرة .. وقالت إن الأمير حسن سوف يكون مقتنعًا تمامًا إذا غادرت البلاد .. وإنها بذلك ستكون بعيدة عن الخطر وآمنة فى القاهرة .

وأعطى الكولونيل البريطانى أوامره للمخابرات بأن يدفعوا لها مبلغ ٥٠٠ جنيه لتغطية نفقاتها لبضعة أشهر فى القاهرة ، معتقدًا أنها بعودتها إلى مصر ستبدأ الغناء وستكسب النقود مرة أخرى .. ولكن أصفهان لم تطلب العودة إلى القاهرة لتستعيد حياتها القديمة ، لكنها فى الواقع كانت تحن لوهبه !

★ ★ ★

■ كان الوقت صيف ١٩٤٤ ..

وعندما وصلت أصفهان إلى القاهرة اتصلت بوهبه ، فعلمت أنه ذهب إلى مصيف « رأس البر » .. فاستأجرت سيارة صباح اليوم التالى . كان ذلك يوم الجمعة ١٤ يوليو وأخذت تحث السائق على الإسراع ، فقد كانت تريد مفاجأة وهبه على الغداء ، وكانت تعلم أنه يتناول غداءه عادة الساعة الواحدة بعد الظهر .

• كانت السيارة تسير عبر طريق سريع ..

وفجأة انزلقت السيارة . وفتح السائق الباب المجاور وقفز خارج السيارة ، التى انقلبت وسقطت فى ترعة ، بينما أصفهان المسكينة حبيسة داخلها !

وصرخ السائق طالبًا النجدة ..

لكن كان ذلك يوم الجمعة ، وكان الفلاحون قد ذهبوا لأداء صلاة الجمعة .

ولم يحضر أحد قبل مرور نصف ساعة ..

وسمعوا قصة السائق وهرع أحدهم إلى قرية مجاورة وذهب إلى عمدة القرية ، الذى اتصل بشرطة مدينة طلخا . وحضرت الشرطة .. وطلبت غواصين نزلوا إلى الترعة .. وفتحوا أبواب السيارة الغارقة وأخرجوا أصفهان منها بصعوبة .. لكن روحها كانت قد فارقت الحياة ، وكان جثمانها مغطى بالطين ، واستطاع أحد رجال الشرطة التعرف على شخصيتها .. إنها المغنية المشهورة أصفهان !

انتشر الخبر بسرعة فى القاهرة ..

وحضرت صديقاتها قرب المساء وحملن جثتها معهن إلى القاهرة .. وفى اليوم التالى نشرت الصحف الخبر وأذاعه الراديو فى المساء ، وسمعه وهبه بينما كان جالسًا لتناول العشاء مع بعض أصدقائه .

ترك وهبه المنضدة على الفور ..

واتجه ناحية الشرفة ..

نفس الشرفة التى طالما جلس فيها مع أصفهان فى صيفى ١٩٣٩ و ١٩٤٠

وفى صباح اليوم التالى عاد إلى القاهرة ..

لكنه لم يمش فى جنازتها ..

فقد كان الجميع يعلمون بقصة الحب بينهما .. ولم يشأ احترامًا لذكراها أن يفعل ذلك .

لكنه بعد يومين ذهب إلى المقابر ..

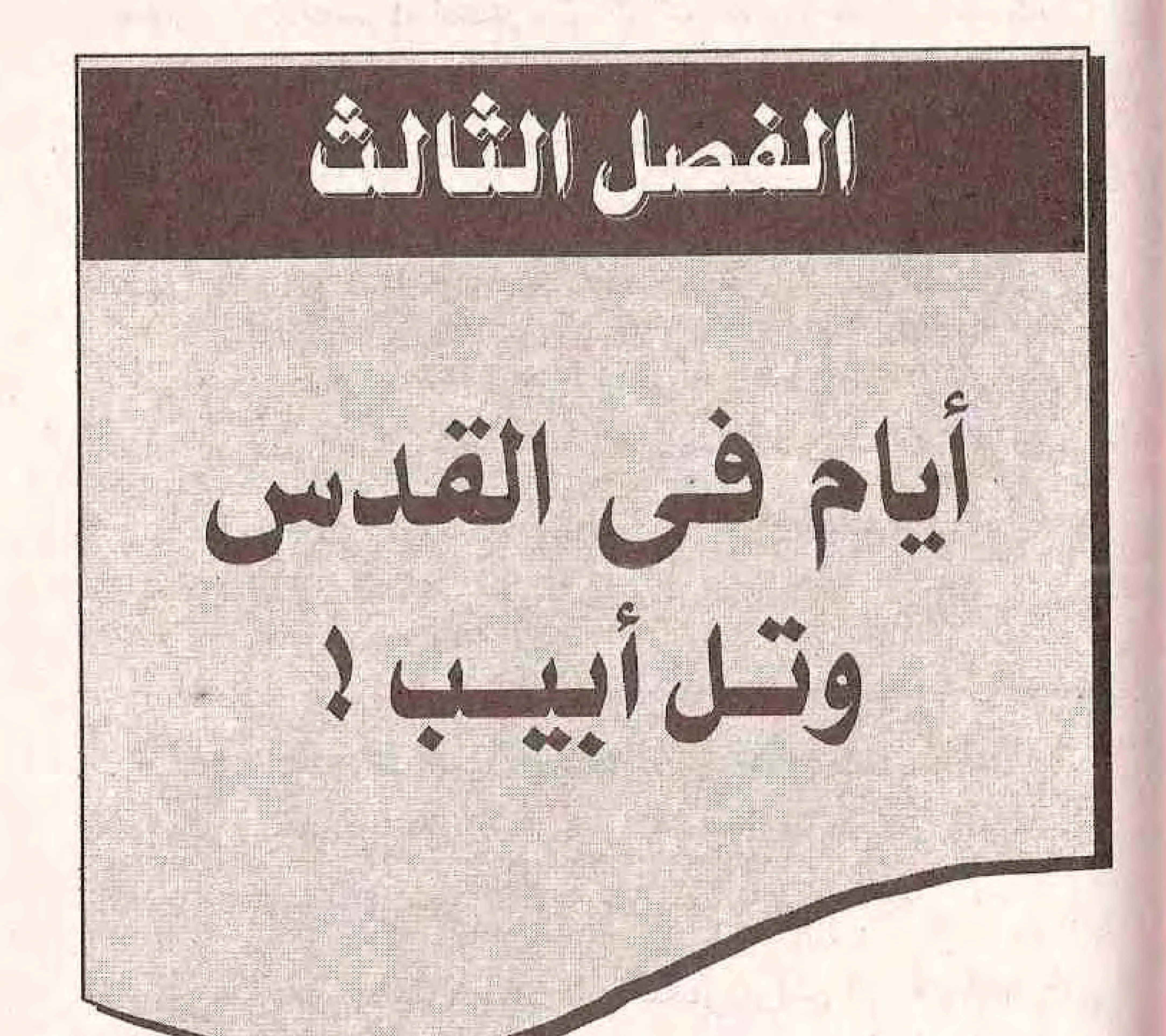
وبحث عن مقبرتها ..

وضع باقة زهور كبيرة ..

ركع أمام المقبرة .. وأحنى رأسه .

وكان لا يزال يسمعها تغنى .. بصوت عميق حزين !

★ ★ ★



لم تكن تلك هى القصة الوحيدة التى كتبها التابعى عن حياة أسمهان ... القصيرة المثيرة كانت تلك مجرد قصة فيلم كتبها مستوحاة من الأحداث الحقيقية لحياة أسمهان وقصة الحب بينهما .. لكن التابعى كتب بعد خمس سنوات من حادث مصرع أسمهان الغامض .. عدة مقالات تحت عنوان « مذكرات التابعى – أسمهان » .. ذكر فيها الوقائع والأحداث والتواريخ بكل تفصيل .

فى قصة الفيلم أعطاها اسم « إيملى » وهو اسمها فى جواز السفر الفرنسى الذى كانت تحمله محورًا عن اسمها الحقيقى « آمال » . كما أعطاها اسم شهرة هو « أصفهان » وهو قريب للغاية من اسمها الحقيقى « أسمهان » .

لكن محمد التابعى فى مذكراته عن أسمهان لم يلجأ إلى الرمز أو الكناية .. بل سجل كل شىء بمنتهى الوضوح ، ولعل الجزء الذى يهم فى هذه المذكرات ، هو تفاصيل ما جرى بينهما فى القدس ، وكيف تطورت علاقتهما بين السلب والإيجاب .

وفى هذا الجزء من مذكرات التابعى يروى قصة ذهابه إلى أسمهان فى القدس ، وتخوفه من أن يفاجأ بحضور زوجها الأمير حسن الأطرش إلى هناك فجأة !

★ ★ ★

قال محمد التابعى : ماذا يكون الموقف إذا لحق بها زوجها الأمير حسن الأطرش فعلاً ؟

وإذا سألنى من أنت .. فماذا أقول ؟

وماذا تفعل هنا .. فماذا أقول ؟

ولكى أواجه مثل هذا الموقف ، كان يجب أن أكون أكثر جرأة ، بل وأكثر صفاقة واستهتارًا مما أراد لى اللّه أن أكون !

ولا يحدثنى أحد عن الشجاعة - ولى نصيبى منها والحمد للّه - ولكن الشجاعة تنقلب إلى صفاقة ، إذا وقفت وأنا غير ذى حق أمام صاحب الحق .. أمام الزوج الذى له كافة الحقوق !

ثم لماذا نساق إلى هذا الموقف ولم يكن بينى وبينها ما يجعل تفادى هذه المواقف أمرًا مستحيلاً ؟

وبعد هذا وذاك .. إلى أين المصير والمستقر ؟

وهل تظل هذه المسكينة .. هذه البوهيمية شقية أبدًا بهذه الحمى ؟

حمى القلق والتبديل والتغيير وعدم الاستقرار ؟

يا طالما تمنت آمال الزواج ..

ويا طالما تمنت بل وبكت لكى تعود إلى زوجها الأول الأمير حسن الأطرش .. ولكن ها هى ذى ولم يمض على زواجها أو عودتها إلى زوجها الأول شهور قلائل ، حتى بدأت تضيق صدرًا وتتبرم بالقيود التى يفرضها الزواج !

إن آمال كانت حريصة حقيقة على أن يكون لها زوج !

لكن لا لتنزل على أحكام الزوجية وما تفرضه عليها من طاعة واستقرار .. كلا .. وإنما لكى تدرأ بزواجها سوء القيل والقال وتقطع ألسنة الشائعات .

لكنها فى نفس الوقت كانت حريصة على حريتها فى أن تفعل ما تشاء ، وأنى تشاء .. وأن تلقى ما تشاء .. فإذا تعارضت فروض الزواج مع حريتها هذه تململت وتبرمت وضاقت ذرعًا بالزواج !

لم تكن الطاعة ولم يكن الهدوء والاستقرار من طبيعتها .. وهذه كلها من أركان الزواج الذى يرجى له النجاح .

* * *

كانت كل هذه الأفكار تدور فى رأس أمير الصحافة محمد التابعى حين ذهب للقاء أسمهان فى القدس .

وجلس معها أول ليلة ساهمًا يفكر فى أمره وأمرها .. وفى أمر علاقتهما .

كانت بالنسبة له فى البداية والنهاية .. امرأة متزوجة !

وكانت تعيش ـ فى ذلك الوقت خارج مصر ـ بعيدًا عن وطنه ومكان عمله وحياته .

● ولم يكن التابعى يفكر فى نفسه فقط !

بل كان يفكر أيضًا فى جدوى علاقته بأسمهان بالنسبة لأسمهان نفسها .. وتأثير هذه العلاقة على حياتها ومصيرها !

ويبدو أن أسمهان خلال السهرة لاحظت شرود التابعى .

● فسألته : لماذا أنت صامت واجم على غير عادتك ؟

ـ رد عليها بصراحة : لأن أمرك لا يعجبنى !

ضحكت أسمهان من رد التابعى ..

● وقالت له : لماذا لا تقول شيئًا جيِّدًا .. ومتى أعجبك شىء من أمرى ؟!

لم يستطع التابعى أن يرد عليها ..

● فعادت أسمهان لتقول له : لماذا لا تنسى كل ما يدور فى رأسك من أفكار وظنون .. لماذا لا تنسى مثلى كل شىء .. ولماذا لا تعيش اللحظة الحالية ؟

* * *

وكانت أسمهان خوفًا من أن يلحق بها زوجها الأمير حسن الأطرش قد غادرت القدس إلى تل أبيب وهناك لحق بها محمد التابعى .

● وروى التابعى تفاصيل ما حدث هناك فقال :

فى الصباح خرجنا نتجول فى شوارع تل أبيب ..

وفى أحد الشوارع قابلنا بعض شباب العرب من أبناء وجهاء يافا والضيعات القريبة ، وعرفوا آمال وأقبلوا يحيونها وقدمتنى هى إليهم .

وقال أحدهم إن عمه السيد زهدى أبو الجبين يقيم فى المساء حفلة ساهرة كبرى فى داره ، وأن عمه سوف يسره تأكيد ـ حين يعلم بوجود الأميرة فى تل أبيب ـ أن يدعوها ويدعونى إلى تلك الحفلة !

وقالت آمال أنها يسرها أن تلبى هذه الدعوة ..

وفى المساء زارنا فى الفندق ابن السيد زهدى أبو الجبين ومعه شابان من أبناء أعيان يافا .. وقدم دعوة من والده للأميرة آمال الأطرش ، ودعوة أخرى باسمي . وأردت أن أعتذر لكن آمال ألحت على أن أصحبها . وكانت حجتها أنها وعدت بتلبية الدعوة .. ولا يليق أن تذهب سيدة وحدها إلى حفلة ما !

وكانت حفلة كبيرة ..

أقيمت فى دار أنيقة يحيط بها بستان كبير .. وكانت قاعات الدار عندما دخلنا ـ مزدحمة بالسيدات المدعوات والسادة المدعوين .. وكانت الكثرة من وجهاء أعيان عرب يافا .. ومعهم قريناتهم وبناتهم ، وهن فتيات مثقفات يجدن الحديث باللغة الإنجليزية ، ويتتبعن أخبار العالم ومصر خصوصًا بعناية واهتمام .

★ ★ ★

وكان فى الحفلة أيضًا عدد من كبار الموظفين والضباط البريطانيين ..

وقدمتنى آمال لصاحب الحفلة السيد أبو الجبين .. وقدمنى هو إلى بعض المدعويين ممن كانوا وقوفًا بالقرب منا .. وكم كانت دهشتى وسرورى ، وهو يقدمنى لحاكم منطقة يافا ، أن أرى أمامى مستر كروسبى أستاذى القديم فى اللغة الإنجليزية فى المدرسة العباسية الثانوية !

من التدريب إلى الإدارة ؟!

ومن وظيفة مدرس إلى منصب حاكم ؟!

ولكن الإنجليز يعتقدون أنهم يصلحون لكل عمل وكل شىء !

ووقفت أتحدث مع أستاذى القديم ..

ثم أحاطت بى آنسات من المدعوات ، وأخذن يسألننى فى كذا وكيت ، وأدركت أن الفضول وحده هو السبب !

« ترى من يكون هذا الذى جاء إلى الحفلة مع الأميرة آمال الأطرش ؟ »

أو معبودتهن أسمهان .. وكان يتأبط ذراعها ـ كما سمعن هذا الصباح ـ فى أحد شوارع تل أبيب ؟!

هذا ما كان يدور فى رءوسهن !

● وكانت أسئلة محرجة ..

وقلت فى نفسى وأنا أتخلص من الحلقة التى ضربنها حولى .. إن هناك فرقًا بين أن أزور القدس ، وأنزل فى فندق كبير مثل فندق الملك داوود وألقى فيه بالمصادفة بين من ألقى الأميرة آمال الأطرش ، وبين أن أزور تل أبيب مع الأميرة !

هذا لا يليق ..

ويعذر الناس إذا طارت بهم الظنون .

★ ★ ★

هكذا عادت إلى محمد التابعى نفسه الأفكار السوداء عن علاقته بأسمهان .. وضيقه من تصرفاتها ..

وكان منذ دخل الحفلة حريصًا على الابتعاد عنها .. حتى يتفادى عيون الفضول وألسنة الناس .

● وانتصف الليل ..

وأشرفت الحفلة على نهايتها .

وأخذ التابعى يبحث عن أسمهان فلم يجدها .. وقيل له إنها فى الطابق العلوى .. فصعد إلى هناك ـ ليرى زحامًا شديدًا حول إحدى الحجرات ، ومن هذه الحجرة كان ينبعث صوت أسمهان وهى تغنى !

وسمع التابعى صيحات إعجاب النساء والرجال ..

ومن بين أصوات الرجال .. أصوات سكارى من الإنجليز !

وفيما بعد عرف أنهما اللورد هياج ابن اللورد دوجلاس هياج .. الذى كان قائدًا عامًا للقوات البريطانية فى الجبهة الغربية فى الحرب العالمية الأولى ، واللورد فافرشام وكانا من ضباط الجيش البريطانى يومئذ .

ووقف التابعى أمام باب الحجرة يفور بالغضب ..

وأخذ يحدث نفسه فى ضيق ..

هل هكذا يكون سلوك الأميرات ؟

وهل هكذا يكون سلوك السيدات اللاتى يحترمن أنفسهن ويحرصن على أن يكن موضع احترام الناس ؟!

وحاول التابعى أن يسيطر على أعصابه الثائرة !

بعد أن فكر فى لحظة من اللحظات أن يشق طريقه بين زحام الناس ويجذب أسمهان من ذراعها ويسحبها وينصرفا من المكان !

● لكنه تمالك نفسه ..

ونزل إلى الطابق الأول وجلس ينظر حتى تنتهى أسمهان من الغناء .

لكنه لم يستطع أن يوقف طوفان أفكاره الغاضبة !

وبدأ يسأل نفسه من جديد ..

لماذا أحس بالغضب ؟

هل هى الغيرة ؟

وهل هى غيرة على أسمهان ؟

أم غيرة على كرامة وسمعة أسمهان .. وما يجب أن يكون عليه سلوكها أمام الناس ؟

وقال التابعى لنفسه :

« إن الذى لا يغار على كرامة من يحب .. لا يمكن أن يكون صادقًا فى حبه .. وكذلك الذى لا يغار على كرامة صديقه أو صديقته .. لا يمكن أن يكون صديقًا مخلصًا وفيًا » !

* * *

ولم يطل انتظار التابعى لأسمهان حتى تنتهى من الغناء ..

فيبدو أن أحدهم أخبرها أنه يجلس وحيدًا فى الطابق الأول فهبطت إليه ، وانطلق الاثنان بالسيارة إلى الفندق ..

• وفى الطريق ..

• قال لها التابعى : ليس من المستحيل أن تشرق الشمس من المغرب أو تغرب من الشرق .. أو ينقلب البياض سوادًا أو السواد بياضًا .. لكن المستحيل حقًا أن تغيرى أخلاقك ونفسك .. وربما

تعيشين مائة سنة تسمعين فى كل يوم وكل ساعة منها كلمة كرامة دون أن تفهمى لها معنى ..

وعندما توقفت السيارة أخيرًا أمام باب الفندق ..

هبطت أسمهان .. والدموع فى عينيها !

• وفى صباح اليوم التالى ..

• قال التابعى لأسمهان : يجب أن أعود غدًا إلى مصر .. لقد مضى الآن أسبوع وأنا معك .. ولا أستطيع أن أطيل غيابى عن عملى فى مصر أكثر من ذلك .. ولقد تركت جواز سفرى فى مكتب استقبال فندق الملك داوود .. ولا بد من سفرى اليوم إلى القدس لأسترده ، وسأعود فى المساء لأركب القطار إلى مصر صباح الغد من محطة اللد .

ـ قالت له أسمهان : إذن أذهب معك إلى القدس ، ونمضى معًا النهار والمساء هناك ، وسوف تقضى سهرتك معى فى صالونى الخاص لكى نتحدث على انفراد .

• رد عليها التابعى : لكنك كنت تخشين الذهاب إلى القدس .. حتى لا يلحق بك زوجك الأمير حسن الأطرش هناك ؟

ـ قالت أسمهان : لو كان أراد اللحاق بى لفعل .. ولكن ما دام قد مر يوم ويومان دون أن يفعل فإن معنى هذا أنه لم يهتم .

وانطلق الاثنان إلى القدس ..

* * *

● فى القدس ..

وبعد الغداء ذهب التابعى إلى جناح أسمهان ساعة تناول الشاى .. فوجد عندها سيدتين فرنسيتين من صديقاتها وصديقه جمال جبر .

ونهضت أسمهان تملأ للتابعى قدح الشاى ..

ـ ثم قالت له : لقد عاد اللورد هياج وصاحبه من تل أبيب ، وكلمنى الاثنان بالتليفون لكى يزورانى هنا ..

لم يرد التابعى ..

ـ عادت أسمهان لتسأله : عندك مانع ؟

● رد عليها التابعى قائلاً : كنت أظن مما فهمته منك أنك تريدين أن نمضى السهرة وحدنا لكى نتحدث !

ـ قالت أسمهان : لكنهما سوف يتناولان الكوكتيل وينصرفا .

● رد التابعى : وإذا لم ينصرفا ؟

هزّت أسمهان كتفيها ..

ـ وقالت : يعنى أعمل أيه .. عاوزنى أطردهم ؟!

نهض التابعى من على مقعده ينوى الانصراف ..

● وقال لها : طبعًا لا .. ولكنى لا أحب أن أمضى سهرتى مع من لا أعرف ، ولهذا أفضل أن أتركك لمجلس اللوردات بتاعك !

● وانطلق إلى الخارج .

ـ وأسمهان تناديه : يا محمد .. يا محمد .

ولحق به صديقه جمال جبر الذى حاول إقناعه بالعودة وأخذ يعاتبه على عصبيته وضيق صدره .

لكن التابعى كان مصممًا وانطلق إلى خارج الفندق !

★ ★ ★

ولم يجد محمد التابعى مكانًا فى القدس يقضى فيه سهرته ..

فقضى بعض الوقت فى مطعم أجنبى .. ثم انصرف دون أن يمس الطعام الذى قدموه له .. وعاد بعد ذلك إلى الفندق وخلع ملابسه وتهيأ للنوم لكى يستيقظ مع الفجر ليركب السيارة إلى محطة قطار اللد ويستقل القطار المتجه إلى مصر فى الثامنة صباحًا .

لكنه فوجئ بصديقه جمال جبر يدق عليه باب الحجرة .

ـ ودخل ليقول له : أنت فين يا أخى .. أسمهان تبحث عنك فى كل مكان .. والآن عرفت من بواب الفندق أنك عدت .. وهى الآن تنتظرك فى جناحها .

● لم يرد التابعى ..

ـ وعاد جمال جبر ليقول له : بعد خروجك من عندها غاضبًا .. تحدثت أسمهان مع إدارة الفندق وطلبت أن يعتذروا نيابة عنها

إلى اللورد هياج وصديقه عن عدم إمكانها استقبالهما هذا المساء بسبب صداع ألم بها .

● قاطعه محمد التابعى : كل هذا كلام لا يهمنى .. وأرجوك أن تتركنى الآن لأننى سوف أنام !

وغادر جمال جبر حجرة التابعى ..

لكنه عاد بعد دقائق ..

ـ وقال له : يا محمد أسمهان تأسف وتعتذر وهى لا تزال تنتظرك فى صالونها ، وقالت إنك إذا لم تذهب إليها فسوف تحضر هى إليك .. وهذا لا يليق !

وهكذا نهض التابعى وارتدى ملابسه .. وذهب مع صديقه جمال جبر إلى صالون أسمهان ..

لكن المفاجأة أنها لم تكن موجودة !

● والتفت التابعى إلى صديقه متعجبًا وسأله : ما معنى هذا ؟

كان الصديق أكثر منه دهشة ..

ـ ورد عليه قائلاً : ولكنه تركها هنا منذ دقيقتين !

ثم التقط سماعة التليفون الموضوع على مائدة صغيرة ..

ـ وسأل موظف استعلامات الفندق : هل رأيت الأميرة آمال الأطرش ؟

وعندما جاءه الرد من على الناحية الأخرى قطب جبينه !

أعاد سماعة التليفون إلى مكانها والتزم الصمت ..

● سأله التابعى : أين هى .. وماذا قالوا لك ؟

ظل الصديق صامتًا ..

تناول التابعى سماعة التليفون واتصل باستعلامات الفندق وسألهم عنها .

ـ رد عليه موظف الاستعلامات : البرنسيسة آمال الأطرش دخلت الآن قاعة الطعام مع اللورد هياج واللورد فافرشام !

وامتلأ صدر التابعى بالغضب ..

ما معنى ذلك ؟

ترسل إليه صديقه مرتين لكى يلح عليه لينهض من فراشه ويرتدى ثيابه ويذهب إليها ، فيجد أنها لحقت بصديقيها الإنجليزيين لكى تتناول معهما طعام العشاء ؟!

إنه لا يقبل أن تلعب به أو تسخر منه امرأة أيا كانت ..

● فقال لموظف الاستعلامات فى التليفون : قل للأميرة إن محمد التابعى يريد أن تتحدث إليه بالتليفون !

وبعد دقائق دق جرس التليفون ورفع التابعى السماعة .

ـ وسمع أسمهان تقول : نعم .. عايز إيه ؟

● قال لها : اطلعى حالاً هنا .. وإلا نزلت إليك بنفسى !

ـ ردت أسمهان : إنزل إن كنت رجل !

● رد التابعى : وهو كذلك .

واندفع خارج الصالون ولم ينتظر المصعد .. بل نزل يقفز درجات السلم .

ولا بد أن أسمهان قد توقعت أنه سيفعل ذلك .. لأنه عندما هبط إلى الطابق الأرضى .. وجدها تهم بمغادرة الفندق .. وقد وقف أحد الخدم يضع معطف الفراء على كتفيها وحولها الضابطان اللوردان .

انطلق التابعى كالسهم نحوها ..

فأسرعت أسمهان نحوه .. وهى ترسم ابتسامة مصطنعة على وجهها .. وتمد يدها لتصافحه .. وكأنه صديق فوجئت برؤيته .

ـ وهمست له باللغة العربية : بس بلاش فضايح .. بلاش خناق هنا !

ووضعت أسمهان يد التابعى على ذراعها ..

ـ وهى تقول له : تعال .

وسارت معه وخلفهما اللورد هياج واللورد فافرشام .. وفى المصعد التفتت إليهما .

ـ وقالت لهما بلغة إنجليزية ركيكة : معذرة .. خمس دقائق فقط .. وسأعود .

وهزّ اللوردان رأسيهما .

وخرجت مع التابعى إلى جناحها بالفندق .

وبالطبع لم تعد للضابطين البريطانيين !

وفى صالون الجناح ..

كان صديقهما جمال جبر واقفًا ينظر فى الردهة ما سوف يحدث .. لكن التابعى دفعها إلى الداخل وأغلق الباب وراءه حتى لا يدخل الصديق .

وانفجرت ثورة أمير الصحافة فى أسمهان ..

وطلب منها تفسيرًا لتصرفاتها فلم ترد .. فانهالت الألفاظ من فمه عليها وكأنها بركان .. وأخذ يسألها فى غضب .

لماذا إلحاحك علىّ بالحضور من مصر إلى القدس لكى أحتفل معك بعيد ميلادك ؟

وها أنا قد حضرت .. فماذا حدث ؟

وهل حضور اللوردين البريطانيين .. كان من باب المصادفة ؟

أم أنك التى وجهت إليهما الدعوة للحضور إلى القدس ؟

• كل ذلك وأسمهان على مقعدها تبكى ..

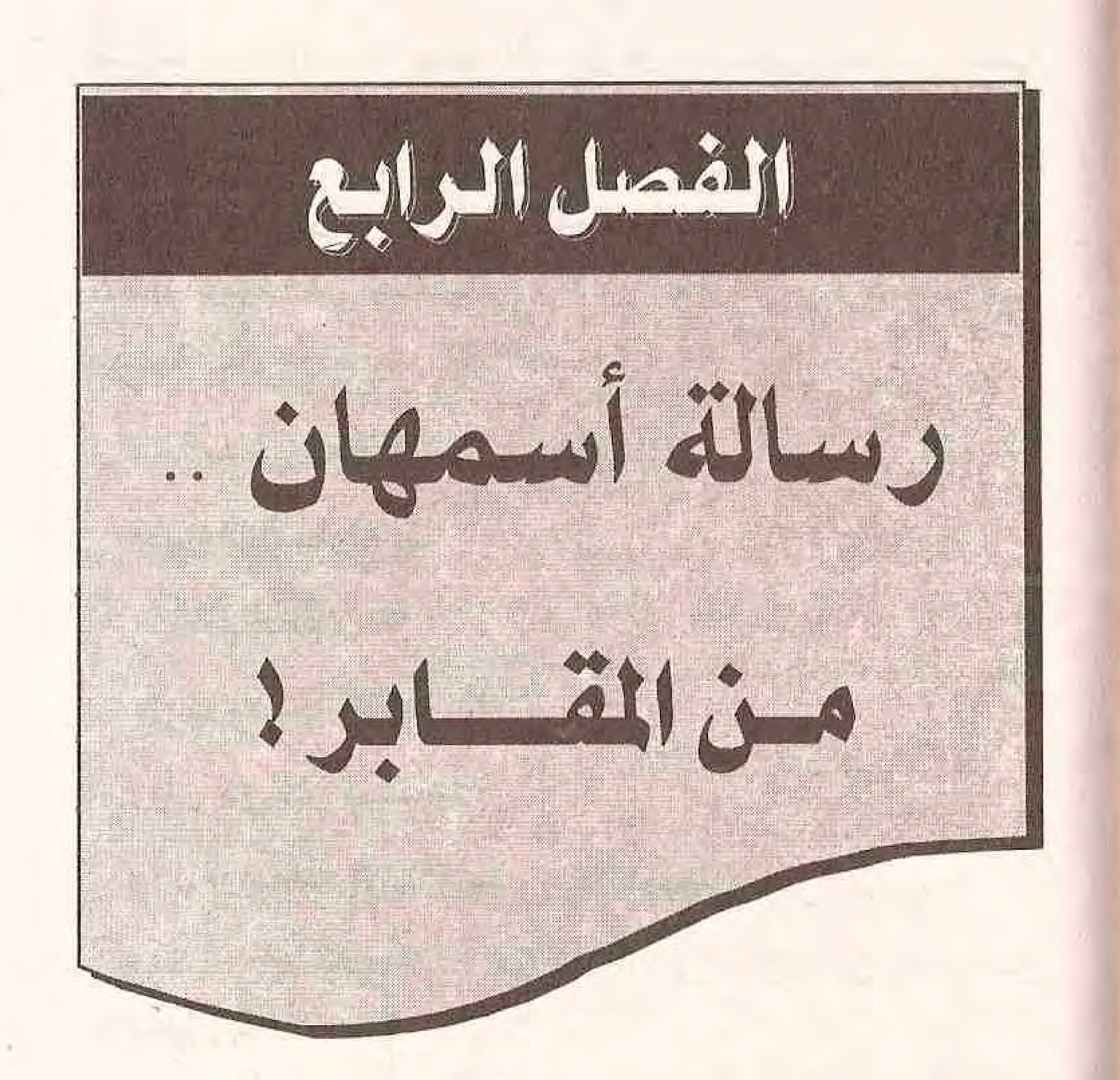
وفجأة .. نهضت وتناولت زجاجة ويسكى .. كانت موضوعة على رخام المدفأة ورفعتها إلى فمها .. وراحت تجرع الويسكى وكأنها تشرب ماء لا خمرًا صرفة !

ووثب التابعى وانتزع الزجاجة من يدها !

وعادت أسمهان لترتمى فى مقعدها وهى تبكى ..

ومشى التابعى نحو باب الصالون ليفتح لصديقه جمال جبر .. ثم غادر المكان متجهًا إلى حجرته !

* * *



عاصفة كانت آخر ليلة قضاها فى القدس أمير الصحافة محمد التابعى مع الأميرة آمال الأطرش أو أسمهان أجمل وأعذب الأصوات فى سماء الفن .

عاد إلى حجرته فى فندق الملك داوود بعد مشهد المواجهة الأخير بينهما فى جناحها . وبعد أن تفجرت ثورة غضبه فى وجهها . من جراء تصرفاتها المستهترة .

ولم يستطع محمد التابعى أن ينام ليلتها ..

قضى الليل بطوله يفكر ..

هل ظلم أسمهان ؟؟

هل كان قاسيًا أكثر من اللازم معها ؟

وبأى حق كان يحاسبها ؟

وظل يردد هذه الأسئلة على عقله المجهد طوال الليل .

وأخيرًا أخذ يتساءل .. هل من الخير محاولة أن يقطع كل ما بينها وبينه ؟

وإنه لن يفهمها أبدًا .. ولن تفهمه أبدًا !

وبين طبعه وطباعها .. وما بين الشرق والغرب !

★ ★ ★

■ فى السادسة صباحًا ..

دق جرس التليفون الموضوع بجوار فراش التابعى ..

ورفع السماعة .. فسمع صوت أسمهان تقول له : صباح الخير .. أرجو أن تمر علىّ ققبل سفرك .. أنا منتظراك فى الصالون !

وبالطبع لم يملك سوى الذهاب إليها ..

وحين دخل عليها وجد فنجانًا كبيرًا مملوءًا بالقهوة ..

وكانت عينا أسمهان متورمتين من كثرة البكاء .

ـ قالت له : أقسم لك بحياة ابنتى .. إننى لم أوجه الدعوة للضابطين الإنجلزيين لكى يلحقا بى إلى القدس .. لكنى أعترف لك بأننى أخطأت عندما دعوتهما لتناول الكوكتيل ..

ظل التابعى صامتًا يستمع إليها ..

ـ واستطردت أسمهان تقول : ولقد آلمنى كثيرًا وجرح كبريائى أن تخرج من عندى غاضبًا أمام السيدتين الفرنسيتين . ولكنى مع ذلك أرسلت جمال جبر وراءك لكنك رفضت العودة . وأرسلته إليك مرة أخرى ، لكنه غاب وظننت أنك رفضت مرة أخرى ، وثار كبريائى وكرهت أن أظل أنتظرك فى صالونى وأنت ترفض العودة . ونزلت إلى قاعة الطعام ووجد اللورد هياج واللورد فافرشام . ولبيت دعوتهما لتناول العشاء معهما وأنا لا أعرف لماذا .

● ظل التابعى على صمته ..

ـ وعادت أسمهان لتضيف وعلى وجهها ابتسامة حزينة : ربما أردت أن أغيظك كما أغظتنى .. والآن قل لى .. هل أنت حاقد علىّ ؟

● رد التابعى : أبدًا ..

ـ قالت له : إذن سامحتنى ؟

● قال التابعى : نعم .

سكتت أسمهان برهة ..

ـ ثم عادت لتقول : سوف أطلب منك أمرًا فهل تعدنى إجابته ؟

● سألها : ما هو ؟

ـ قالت أسمهان : إن كنت حقيقة لست غاضبًا منى ، عدنى بأن ترجع إلى القدس . لكى نمضى معًا عيد الأضحى وعيد رأس السنة !

● قال لها التابعى : سوف أفكر ..

ـ قالت له : أرجوك .. من فضلك .

● قال لها : سوف أبذل كل جهدى لأحضر .

ثم نهض يستأذن منها للانصراف للسفر إلى مصر .

فودعته .. والدموع فى عينيها ..

وعندما غادر جناحها بالفندق .

ضبط عينيه .. والدموع فيها !

★ ★ ★

بعد أربعة أيام فقط من اللقاء الأخير الحزين ..

تلقى التابعى برقية من أسمهان تقول لـه فيها إنها عادت إلى بيروت . وإنها بالفعل تتمنى أن يمضى معها أسبوع الأعياد فى القدس ثم تلقى منها خطابًا تروى فيه له ما حدث فى الأيام الأربعة التى أمضتها فى القدس بعد سفره .

وقالت أسمهان فى هذا الخطاب لـ محمد التابعى : حبيبى وحياتى محمد .. كيف أبدأ خطابى . إن يدى تكتب وقلبى يتمزق . إننى الآن آراك أمامى . وكم كنت أتمنى أن أجدك وتجيبنى بدلاً من الكتابة .. التى أصبحت هى سلاحى الوحيد .

« تركتنى وحيدة لا أمل لى فى الحياة ! »

إننى الآن أتطلع أمامى فلا أجد سوى أعداء . ولا شىء يهمهم سوى تكسير أعصابى وقلبى وسلب نقودى بأفظع الطرق .. فى هذه الحياة !

والآن .. دعنى أحدثك عن الذى حصل بعد سفرك من القدس .. ودعك جمال فى محطة القطار . وكنت قد أوصيته أن يفيقنى قبل سفره وبعد ذلك جمعت كل قواى . وقمت لكى أذهب إلى شفيقة إحدى صديقاتى ـ بعد أن توفى زوجها . وإذا بهلال يعطينى تلغراف . وكم كنت سعيدة حين علمت أنه منك .

يا إلهى كم كنت رحيمًا بإرسالك لى مثل هذه العبارات التى أنستنى الكثير من آلامى . وصممت بعدها على الذهاب ووصلت إلى شفيقة . وإذا بى أفاجأ بالمنزل هادئًا . فارتحت قليلاً وسألت عليها فقالوا لى إنها فى غرفة النوم . وأدخلونى عندها ..

ولا تتصور ماذا فعلت هذه المسكينة . حين رفعت رأسها الذى لم أتمكن من معرفته فى بادئ الأمر . بين ذلك السواد الذى يحيط بها . وذلك الوجه الشاحب اللون ..

● ضمتنى إلى صدرها ..

ـ وهتفت : أين زوجى فخرى .. هل جئت لكى نراه ؟

● فصحت بها : كفى .. والله معك .

ومضينا نبكى مدة طويلة دون أن تخاطب أحدنا الأخرى . وأخيرًا رفعت رأسها وكأنها كانت فى رحلة طويلة .

ـ وسألتنى : أين محمد الآن .. وهل قابلتيه ؟

وتركتنى المسكينة وكأنها فهمت ما أريد أن أقول .

ولا أطيل عليك الحديث ..

تغدينا وتحدثنا كثيرًا بعد الغداء ..

ـ ثم قالت لى : والآن .. هل لك أن تزورى فخرى معى ؟

● قلت : بكل تأكيد .

وانطلقنا أنا وهى إلى المقابر ..

وكانت الساعة الخامسة بعد الظهر . وكان الطقس شديد الغيوم والمطر . فأصابتنى رعشة فظيعة . وأنا لأول مرة فى حياتى أزور المقابر . وخصوصًا فى ذلك اليوم . وحين دخلنا من الباب الكبير . لم أستطع منع نفسى وأعصابى من الصراخ !

● كانت المقابر موحشة ..

وبها فضاء مخيف . وحين وصلنا إلى قبر المرحوم .

ـ صاحت شفيقة : قم .. قم يافخرى وشوف مين جاى يزورك !

يا لها من عبارات ..

ويا له من موقف بغيض ..

لقد فضلّت الموت فى تلك اللحظة خير لى من أن أرى بعينى هذه الحياة المليئة بالعذاب . وأخيرًا وبعد ساعة تقريبًا .

ـ قالت شفيقة : كفى .. ودعينا نذهب الآن .

فقمت وأنا لا أستطيع رؤية الطريق لشدة الألم الذى أصابنى فى عينى . ونصحتنى أن أهيم معها فى القدس . وأن أبعث تلغرافًا إلى نجلاء لكى ترسل لى بقية حاجاتى والأوتوموبيل ، لكى أخلص من هذا الجو الذى أعيش به الآن .

وقالت شفيقة إنها تفضل أن أخلص وأنا فى القدس خوفًا من أن أتغرب ويمنعوننى من العودة . فراقت لى هذه الفكرة .

● وقلت لها : هذا جميل .. وسوف أفكر فى ذلك .

وتركتها حوالى الساعة الثانية ورجعت الأوتيل ودخلت الصالون فإذا به ملىء بالزهور ومنسق تنسيقًا جميلاً ، وتطلعت فوجدت نفسى وحيدة . فارتميت على أول مقعد ورحت فى شبه غيبوبة !

ولم أفق إلا على صوت جيرانى الفرنسيين الذين تعجبوا حين رأونى فى هذه الوحدة , والطرحة السوداء التى كانت على رأسى .

ـ وصاحت واحدة منهم : يا إلهى .. ماذا حصل ؟

● فقلت لها : لا شىء . سوى أننى كنت عند صديقة لى أعزيها فى زوجها الراحل .

ـ فأخذوا يضحكون ويقولون : حسبنا عزيزًا عليك قد ..

وسكتوا حين منعتهم ..

● وقلت لهم : أرجو أن تتركونى وشأنى .. فأنا متعبة جدًّا ..

وقمت فى الصباح على جرس التليفون ..

ـ وإذا بها شفيقة تقول لى : لماذا تأخرتى ؟

فذهبت إليها فى الحال وكانت فى أحسن حال فى ذلك اليوم ..

ـ وسألتنى : ماذا قررت ؟

وقلت لها : لقد فكرت كثيرًا ووجدت أنه من المستحيل أن تكون نجلاء حرة فى المنزل بحيث ترسل لى كل حاجاتى .. لأن والدتى هناك وذلك من الصعب جدًا . ولذلك فكرت فى أن أذهب باكر وأفعل ذلك بنفسى والله المعين .

● فوافقتنى على ذلك ..

ـ لكنها قالت : آمل ألا تغيرى ذلك .

فوعدتها وتركتها وعدت . وكانت عينى فى أسوأ حال ، وقضيت الليل أعالجها ، ثم تركت القدس فى الثالثة صباحًا . وكانت رحلتنا صعبة جدًّا لشدة المطر الذى لازمنا طوال الطريق .

● وصلنا بيروت فى السابعة مساء ..

ووجدت الجو هنا مكهربًا جدًّا . والدتى فقط فى المنزل ونجلاء طبعًا . ولا تعلم ماذا أخبرنى الجيران والخدم عن الذى حصل فى غيابى .

● قلت لنفسى : اللّه معى .. وسأفوز إن شاء اللّه .

هذا كل ما جرى إلى الآن ..

وسأكتب لك قريبًا . لقد أرسلت لك تلغرافًا نهار الأربعاء . وإلى الآن لم يصلنى منك ولا كلمة واحدة . لعل المانع خيرًا ..

وختامًا ..

أقول صادقة إننى دائمًا لك ولك إلى الأبد .

أكتب لى مطولاً .. وإلى اللقاء .

التوقيع .. آمال الأطرش !

★ ★ ★

أما البرقية التى كانت أسمهان قد أرسلتها إلى أمير الصحافة فقد كانت تقول فيها :

إلى محمد التابعى ـ مجلة آخر ساعة ـ مصر .

بانتظارك .. أرجو ألا يعلم أحد بمجيئك .. انزل فى أوتيل « إيدن بالاس » . سأمضى العيد مع شفيقة فى البيت .. إلى اللقاء .. آمال الأطرش !

• وبعد يومين ..

أرسلت إليه برقية أخرى تلح عليه فيها بالحضور ..

فأرسل لها التابعى برقية يقول لها فيها : حاضر غدًا !

هو .. الذى كان قد اعتزم بعد آخر لقاء بينهما على أن يقطع علاقته بها !

• كان قد مضى نحو شهر على آخر لقاء ..

وهكذا غادر محمد التابعى القاهرة يوم السبت ٢٧ ديسمبر إلى القدس ، وهو يتعجب لماذا طلبت منه أسمهان أن ينزل فى فندق « إيدن بالاس » وليس فندق « الملك داوود » الذى تعود النزول فيه ولماذا أوصته ألا يعلم أحد بسفره إلى القدس . ولماذا قالت إنها تقيم فى بيت صديقتها شفيقة ؟

هل معنى ذلك أن أسمهان تعرف أن هناك من يراقبها ؟

وإن كان .. فهل هو زوجها .. أم السلطات ؟

وفى طريق الرحلة الطويلة جلس محمد التابعى على مقعده فى القطار . يستعرض شريط ذكرياته مع أسمهان .. وعنها !

وتخيلها فى مشهد مؤثر طالما رآه .. مشهدها وهى تبكى !

وأخذ يسائل نفسه .. أية امرأة هذه ؟

ما أسرع الدموع إلى عينيها .

وما أسرع الابتسامة إلى شفتيها !

ولكن دموعها كانت دائمًا حارة صادقة .

أما ابتسامة المسكينة فلم تكن دائمًا من القلب !

أسمهان .. أية شخصية غامضة معقدة هى ، مليئة بالمتناقضات .

مليئة بالأنفة وعزة النفس وعفة اللسان وطيبة القلب التى ما بعدها طيبة !

أسمهان .. الاندفاع والتهور والانسياق وراء كل نزوة ، والاستهتار أحيانًا والتمرد أحيانًا على كل الأوضاع وكل ما اتفقنا عليه ، العرف والناس .

إنها .. الضعف .

ضعف الإرادة !

وهنا .. ابتسم محمد التابعى ساخرًا من نفسه ومن أحكامه على أسمهان !

لأن آخر من يحق له أن يحاسب أسمهان أو الأميرة آمال الأطرش على ضعفها .. هو محمد التابعى نفسه !

لأنه هو الذى تركها منذ شهر وقد عاهد نفسه ألا يعود إليها .. ها هو عائد إليها !

★ ★ ★

وصل التابعى إلى القدس صباح أول أيام عيد الأضحى ..

وذهب إلى فندق « إيدن بالاس » ..

وبعد دقائق قليلة من وصوله تلقى مكالمة من فندق الملك داوود .

وفوجئ بأنها أسمهان تطلب منه مغادرة فندق « إيدن بالاس » والذهاب إلى فندق الملك داوود !

ولم يفهم التابعى لماذا .. لكنه ذهب إليها كما طلبت .

وعندما دخل عليها صالون جناحها وجدها راقدة على مقعد طويل وقد وضعت على ركبتيها غطاء ثقيلاً من الصوف .

كانت شاحبة اللون ..

وكان فى صوتها ضعف وكانت تسعل قليلاً ..

وعندما سألها عما بها قالت إنه برد خفيف أصابها من جراء سهرة طويلة أمس الأول .

● قال لها التابعى : لكنى كنت أظن أنك تقيمين فى بيت صديقتك شفيقة ؟

ـ قالت أسمهان : نعم .. أقمت عندها ليلة واحدة .. ثم طبت هنا .. إن شفيقة امرأة حزينة تمضى نهارها وليلها فى البكاء على زوجها ، وهى ترى الكآبة تنقص حياتى حتى أسعى لطلب المزيد منها ؟ لقد طبت هنا ، لأن أعصابى لم تحتمل نواح شفيقة وبكاءها .. إن كل ما فى دارها متشح بالسواد !

وارتعشت أسمهان وهى تشيح بوجهها .. وتقول :

ـ كل ما فى دارها يذكرنى بالموت !

ولاذت بالصمت ..

● سألها التابعى : ولكن لماذا طلبت منى الإقامة بفندق إيدن .. وألا يعلم أحد بقدومى إلى القدس ؟

ـ ردت أسمهان : هل تعرف أن الأمير حسن عاد من مصر ومعه كاميليا وأمى أيضًا ؟

● قال التابعى : أمك ؟ كلا .. لم أسمع بذلك .

ـ قالت أسمهان : نعم .. لقد حضرت أمى معه إلى لبنان بحجة إنها تحب كاميليا ولا تطيق البعد عنها .. وهكذا وجدتها فى دارى عندما عدت إلى بيروت .

وسكتت برهة ..

ـ ثم عادت لتقول له : ووجدت أيضًا أن الأمير حسن قد فتح درج مكتبى الخاص عنوة واستحوذ على برقياتك لى !

نظر إليها التابعى متفاجئًا ..

● ثم سألها : وماذا تفهمين من ذلك ؟

ـ قالت أسمهان : لا بد أنه سمع بمقابلاتنا هنا فى القدس !

● سألها : كيف ؟

ـ قالت أسمهان : ورايا .. ورايا .. كنت ظننت أننى خلصت منها يوم تركت لها مصر .. فإذا بها تجىء ورائى إلى بيروت .

● قال لها : أمك ؟

ـ هزت رأسها وهى ترد : نعم .

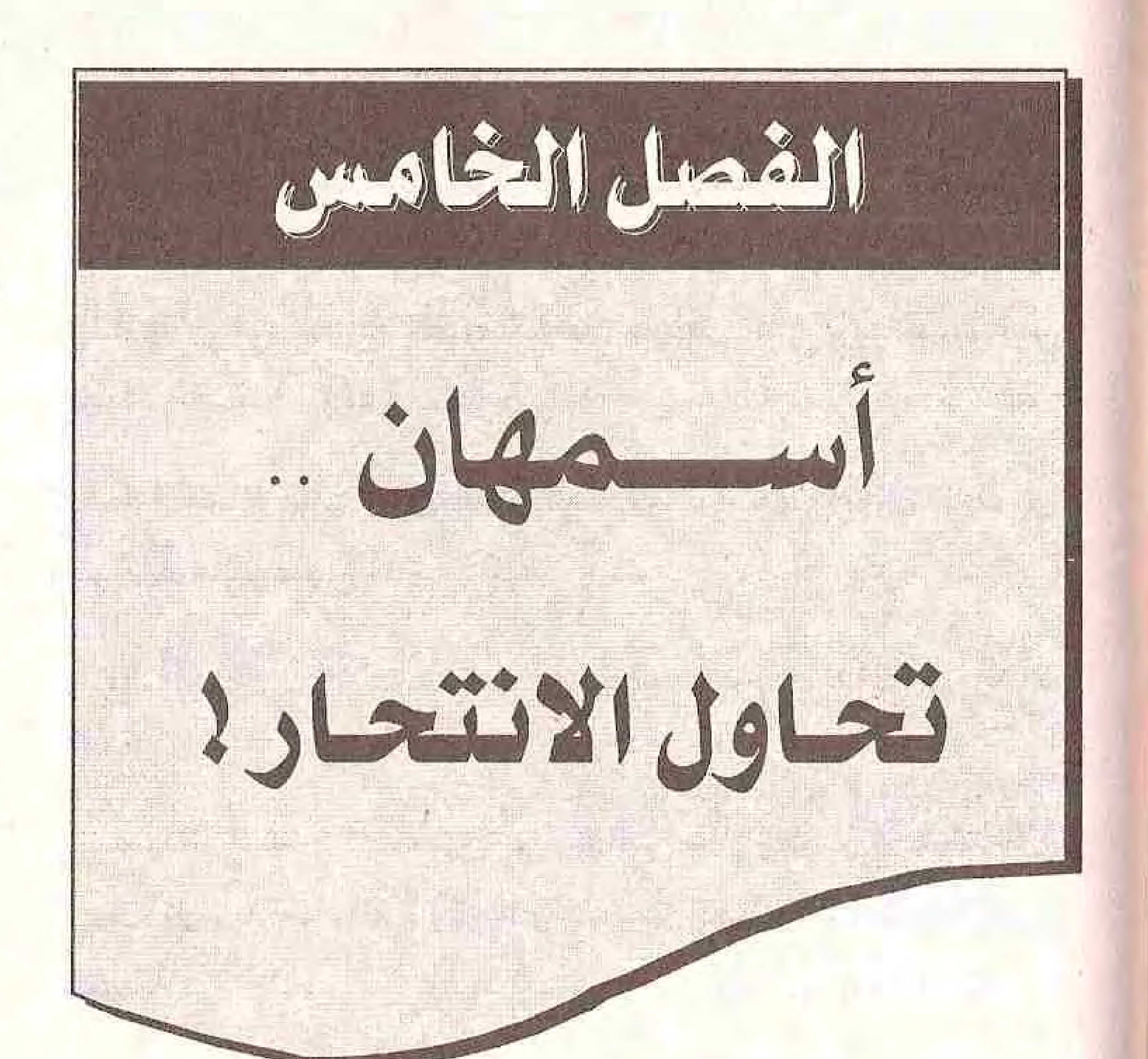
● قال : وهل تتهمينها ؟

ـ قالت أسمهان : وإذا لم تكن هى .. فمن ؟

● قال : كونى منصفة .. إنها أمك على كل حال .. ما أظن بها توقع بك عند زوجك !

ـ ردت أسمهان بضجر : إذن من ؟

★ ★ ★



عاد محمد التابعى إلى القدس مرة ثانية ليقضى مع أسمهان عطلة عيد الأضحى والكريسماس كما طلبت منه فى برقياتها ورسائلها إليها ..

عاد ليفاجأ بها تخبره أن زوجها الأمير حسن الأطرش ذهب إلى مصر واصطحب معه أمها وابنتها كاميليا إلى بيروت . وأنه فتش فى أدراج مكتبها الخاص .. فعثر على برقيات التابعى لها .

ودار حوار ساخن بين أمير الصحافة والأميرة آمال الأطرش حول هذا الموضوع ..

● قال لها التابعى : على كل حال ليس فى برقياتى لك أى شىء !

- ردت أسمهان : صحيح .. لكنها فى نظر زوجى برقيات من رجل غريب والسلام . ولهذا رأيت أن أحذرك وأنبهك لتتخذ الحيطة .

وابتسمت أسمهان ابتسامة ضعيفة ..

- ثم أضافت قائلة للتابعى : وعلى فكرة .. حذار أن تزور لبنان وسوريا الآن .. وإلا فقد « يقوصوك » !

« ويقوص » كلمة معناها عند أهل الشام يقتل بالرصاص !

- ثم سألته : أخائف أنت ؟

● رد التابعى : من أجلك !

- قالت له : إن كان خوفك من أجلى .. فاطمئن !

● قال لها : ولكن يظهر أنه لم يعد هناك موجب للحيطة والحذر . فها أنا ذا فى فندق الملك داوود .. وها أنا ذا معك !

- ردت أسمهان : ماذا يهم ؟ لقد كان فى نيتى أن أتركك تقيم فى فندق إيدن ، ولكنى أصبحت اليوم مريضة . فلا سبيل إذن لمقابلتنا سوى هنا . ولا معنى إذن لأن تبقى فى فندق إيدن .. ولكن .

●ونظرت إليه وهى تبتسم ..

- وقالت : ولكن .. إذا كنت تخاف العاقبة فأنت حر .. حتى فى أن تسافر اليوم إذا شئت .

● رد عليها التابعى وهو يبتسم : كلا .. لن أسافر وأنت مريضة .

لكن ابتسامته كانت متكلفة باهتة !

وفى أعماقه .. كان خائفًا !

ولم يكن خوفه عن جبن . ولكن كان خوف من يخشى أن يواجه صاحب الحق وهو يعرف أنه ليس بذى حق . فمن هو ؟ وما شأنه ؟ ومن يكون حتى يقف بين زوج وزوجته ؟

واتخذ التابعى ـ بينه وبين نفسه ـ يعلن ضعفه وساعة لبى دعوة أسمهان لمجىء إلى القدس !

لكنها الآن مريضة .. ومن واجبه أن يكون إلى جوارها !

★ ★ ★

● وكانت أسمهان مريضة بالفعل ..

ومن الأصل كانت لديها رئة ضعيفة ..

وفى المساء .. ارتفعت درجة حرارتها . واقترح التابعى عليها أن يستدعى لها طبيبًا . لكنها رفضت . وجاء النهار عليها وآلامها تزيد .

ومنعها التابعى بالقوة من التدخين والشرب ..

لكنها أثناء سهرة الكريسماس فى حجرة جلوسها . ألحت عليه أن تشرب كأسًا واحدة احتفالاً بالعيد . لكن الكأس الواحدة تضاعفت لتصبح سبعة كئوس !

وكانت النتيجة أنها أصبحت فى نهار أول يوم من العام الجديد ١٩٤٢ ، لكن حال أسوأ وارتفعت درجة حرارتها وأصابتها حمى !

■ وفى المساء ..

حضرت من القاهرة صديقتها أمينة البارودى . التى أمضت السهرة مع التابعى بجوار فراش أسمهان !

● وجاء اليوم التالى ..

وأمطرت السماء مطرًا غزيرًا .

وظل الوضع كما هو ..

ثم دق الباب أحد خدم الفندق وهو يحمل صندوقًا كبيرًا من الورق المقوى مملوءًا بالزهور ومعه خطاب . وناولت أسمهان التابعى الخطاب لكى يقرؤه عليها .

ـ وقالت له : نسمع معًا ما فيه .. بدلاً من أن أقرأه أنا .. ثم تقرأه أنت !

وسألها التابعى : ومن قال إننى أريد أن أقرأه !

ـ قالت أسمهان وهى تبتسم : لأنى أعرفك !

وكان الخطاب باللغة الإنجليزية ومن اللورد فافرشام . وكان يقول إنه يغادر القدس اليوم إلى دمشق . ويرى من واجبه السعيد أن يقدم لها شكره الجزيل على تفضلها تناول العشاء معه ليلة السبت الماضى .

وهى الليلة التى قالت أسمهان .. إنها مرضت بعدها !

★ ★ ★

■ **عندما أقبل المساء ..**

بدأت أسمهان تهذى من شدة الحمى ..

وسأل التابعى إدارة الفندق عن اسم طبيب يستدعيه لفحصها .

فأخبروه باسم طبيب ألمانى يهودى مشهور . هو البروفيسور « زونديك » .

وحضر الطبيب وفحص أسمهان وقال إنها نزلة شعبية ..

وخرج التابعى يشيع الطبيب عند الباب .

ـ فقال الطبيب : إننى أشك أن فى الرئة اليمنى بها شىء ما !

وأضاف أنه يفضل الانتظار يومين قبل أن يأخذ صورة لصدرها بالأشعة حتى لا يزعجها ، لأنها الآن فى حالة عصبية شديدة .

● **وجاء اليوم التالى ..**

وتساقطت الثلوج على القدس وغطت الشوارع . وأوقفت سير القطارات وإقلاع الطائرات .

وبقى التابعى طوال ذلك اليوم إلى جوار فراش أسمهان يمرضها واستمر هطول الثلوج . وكان الطبيب يحضر لرؤية أسمهان كل يوم . وجاء ومعه مساعدوه وأخذوا صورة بالأشعة لصدرها .

ـ وقال الطبيب للتابعى : إن حالتها ليست خطيرة .. لكنها دقيقة إلى حد ما . وتحتاج إلى عناية كبيرة وعلاج طويل .. فالرئة اليمنى ليست سليمة تمامًا !

ويبدو أن أسمهان نفسها كانت تعرف ذلك ..

فقد كانت كثيرًا ما تشير إلى صدرها ..

ـ وهى تقول للتابعى : استحملنى سنة أو سنتين .. لأنى عارفة إنى رايحة بعدها أموت !

ومع ذلك فقد كانت تشرب وتدخن .. ولا تهتم !

★ ★ ★

ـ سألت أسمهان التابعى : ماذا قال لك الطبيب ؟

● رد عليها : لا شىء .. كل ما قاله إنه ليس فى حالتك ما يوجب القلق . لكنك تحتاجين لعناية كبيرة وعلاج طويل .

ابتسمت أسمهان ..

ـ وقالت للتابعى : ومن أين أجد ممرضًا مثلك ؟!

كان التابعى قد أمضى عشرة أيام إلى جوار أسمهان فى مرضها ..

ولاحظ رغم كثرة صديقاتها فى القدس أن واحدة منهن لم تهتم بالبقاء إلى جانبها وتمريضها . وكن يزرنها بضعة دقائق ثم ينصرفن . وكأنهن كن يخشين من العدوى !

وظل إلى جانبها يرعاها ويعطيها الدواء فى مواعيده . ويقيس حرارتها . ويعد لها البخار الممزوج بالدواء لكى تستنشق منه ملء رئتيها .. والأهم أنه منع عنها التدخين والشراب .

ولكن فى النهاية كان عليه أن يعود إلى عمله فى مصر ..

وعندما أخبرها بضرورة ذلك .. بكت أسمهان .

ـ وقالت له : أنا خائفة .. خائفة من أن أموت بداء الرئة .. وخائفة من ألا نلتقى مرة أخرى !

● وحان يوم سفر التابعى إلى مصر ..

وودعها وغادر القدس . فكان أول ما فعله عند وصوله إلى مصر هو البحث لها عن صديقة ترضى بالسفر إلى القدس . وتبقى بجانبها لتمرضها وترعاها وتؤنسها فى وحدتها .

وفى النهاية عثر على السيدة مارى قلادة ..

وفى ثلاثة أيام استخرج لها جواز سفر وأنهى لها كافة إجراءات السفر . وأرسلها بالطائرة إلى أسمهان فى القدس . وكانت مارى قلادة قد وعدت بأن تبقى مع أسمهان أسبوعين لكنها ظلت معها ثمانية شهور. فقد أحبتها حبًا ما بعده حب وتوطدت أواصر الصداقة بينهما .

والغريب .. أنها فيما بعد ماتت معها !

★ ★ ★

وظل التابعى يرسل إلى أسمهان برقية كل يوم ..

وفى أحد الأيام وصلته برقية من الدكتور « زندويك » يقول له فيها : حالة الأميرة تحسنت جدًا .. (هرمان زندويك) ..

وبعدها بأيام تلقى برقية باللغة الفرنسية من مارى قلادة تقول له فيها : « الأمير وصل أمس وفى نيتنا السفر بعد غد . ارسل برقياتك من الآن باسمى .. مارى قلادة » !

وعرف التابعى أن الأمير حسن الأطرش قد لحق أخيرًا بزوجته آمال فى القدس . وحمد الله على أنه لم يصل قبل أسبوع واحد . لكان قد وجده جالسًا إلى جوار فراش زوجته يمرضها ويناولها الدواء !

■ **وبعد أيام ..**

دق جرس التليفون فى بيت التابعى بالزمالك ..

وعندما رفع السماعة سمع من يقول باللغة الإنجليزية .

ـ القدس تطلبكم !

وفهم أن المكالمة جاءت عن طريق القيادة العسكرية البريطانية بالضرورة وسمع صوت أسمهان .

● سألها باللغة العربية : كيف صحتك الآن ؟ ولماذا لم تغادرى القدس بعد ؟

ـ ردت أسمهان : أمور كثيرة حصلت بعد سفرك .. المهم هل تستطيع أن تحضر إلى القدس غدًا ؟

كان صوتها متعبًا مرهقًا ..

صوت امرأة يائسة .. ضلت طريقها وخارت قواها وأضناها التعب ..

● قال لها التابعى : نعم .. سأحضر إليك غدًا !

★ ★ ★

■ **فى اليوم التالى ..**

ركب محمد التابعى القطار إلى اللد ومنها إلى القدس ..

وذهب مباشرة إلى فندق الملك داوود ..

ودخل جناح أسمهان ليجدها مع مارى قلادة فى حجرة جلوسها الخاصة وانطلقت أسمهان تروى له ما حدث .

ـ قالت : كان حضور زوجى الأمير حسن الأطرش مفاجأة لى . ولقد ظننت فى أول الأمر أنه سمع بمرضى فحضر ليطمئن علىّ .. ولكنى لم ألبث أن تبينت الشر فى عينيه . ومنذ لحظة دخوله علىّ لم يهتم بسؤالى عن مرضى . بل بدأ حديثه بقوله إنه لا يستطيع الصبر أكثر مما صبر . ولا السكوت أكثر مما سكت . وأننى قد نسيت فيما يبدو أننى زوجته . وإلا فما معنى هروبى الدائم منه ؟ إذا أقام فى السويدا هربت منه إلى دمشق . وإذا جاء إلى دمشق ذهبت إلى بيروت . وإذا أقام معى فى بيروت تركته فيها وسافرت إلى القدس . وأن أهلنا فى السويدا يتندرون بهذا .. وأن علاقتنا الزوجية أصبحت حديث الناس .. وإنه صبر طويلاً ولكنه لم يعد يطيق الصبر أكثر مما صبر . ثم أمرنى بالاستعداد للسفر معه غدًا إلى السويدا .

« وافقت لأن قدومه المفاجئ عقد لسانى ..

كمـا أننى كنـت سـاعتئذ أضـعف مـن أن استطيع المقاومـة والأخـذ والـرد . وتركنى وخـرج على أن نسافر معًا غدًا أو بعد غد . وطلبت من مـارى أن ترسـل لك برقية بهـذا كلـه . ولكن أحـد خدم الفنـدق وهـو يخلص لى كثيـرًا . جـاءنى بعد خروج الأميـر يقـول إن الأميـر اهتـم فـور وصـوله إلـى الفنـدق ، بالاطلاع على الدفتر المقيـدة فيـه أسـماء الذين نزلـوا بـالفندق طـوال الشـهر !

« وهنا أدركت لماذا دخل علىّ والشر فى عينيه ..

لقد وجد اسمك بين أسماء نـزلاء الفنـدق وعـرف أنك كنت هنا أثناء وجودى .

● وقضيت ليلتى أفكر ..

إذا طاوعته وسافرت معه إلـى السويدا فلـن يسمح لـى بعدهـا بمغادرة سوريا أو لبنان . بل قد يستحيل علىّ الخروج من السويدا نفسها ! وإذا كان قد استطاع منذ شهرين أن يحصل من السلطات على موافقتها على عدم السماح لى بـالخروج مـن سـوريا ولبنـان أثناء غيابه فى مصر . فقد يمكنه اليوم أن يحصـل علـى موافقتهـا على عدم خروجى أصلاً من البلاد !

■ وفى الصباح ..

كنت قد انتهيت إلى قرار ..

فلما جاءنى قلت له إننى لن أسافر معه . وإننى سوف أبقى فى القدس !

ـ قال لى : إذن .. فأنا أجد نفسى مرغمًا على استعمال العنف معك .. سأذهب إلى السلطات البريطانية هنا وأطلب منها أنا زوجـك أن تصدر أمرها بإخراجك فورًا من فلسطين . وبوضعك ولو بالقوة فى سيارتى !

وبالفعل تركنى وخرج ليذهب إلى السلطات البريطانية فى القدس !

★ ★ ★

● سكتت أسمهان برهة ..

ثم عادت لتروى بقية القصة للتابعى ..

ـ فقالت : ولعلك عرفت أن علاقتى بالإنجليز لم تعد حسنة كما كـانت . بينما أصبح الأمير حسن ذا نفوذ عندهم . وأصبحت كلمته فوق كلمتى . ولهذا لم يخامرنى أقل شك فى أن السلطات البريطانية سوف تجيبه إلـى طلبه . وسوف تحملنى ولو بالقوة وتضعنى فى سيارته .. وكله إلا هذا !

ولم يطلق تفكيرى أكثر من دقائق ..

وكان الدكتور « زونديك » قد وصـف لـى دواء مقويًا أوصـانى باستعماله حقنًا تحت الجلد بعد عودتى إلى بيروت . وفهمت منه

أن هذا الدواء تدخل فى تركيبه مادة الاستركينى . فقمت إلى الدولاب وأخرجت علبة الدواء وكان فيها ست أنابيب زجاجية . كسرت أطرافها جميعًا وأفرغتها كلها فى قدح . وشربتها وتمددت فى فراشى أنتظر الموت !

لكن بعد دقائق دخلت علىّ مارى قلادة ..

ولا أعرف كيف فطنت إلى أن هناك شيئًا ما . لأنها انحنت فوقى تحدق فى وجهى وتسألنى عما جرى ، ثم وقع بصرها على الأنابيب الزجاجية المكسورة الفارغة . وفهمت واندفعت خارج الحجرة تصرخ وتطلب النجدة !

وأسعفونى ..

وإن كنت لا أعرف ماذا فعلوا بى .

ولما أفقت وجدت الأمير حسن الأطرش واقفًا إلى جوار فراشى . ولما رآنى فتحت عينى تقدم منى .

ـ قال : إلى هذا الحد تكرهيننى .. حتى لتفضلين الموت على العيش معى ؟

ورأيت الدموع فى عينيه ..

ثم خرج وتركنى ..

وسافر وحده فى نفس اليوم عائدًا إلى بيروت !

★ ★ ★

قالت أسمهان للتابعى بعد أن انتهت حكايتها . لم يبق أمامى إذن إلا أن أعود إلى مصر . ولهذا السبب دعوتك . أنت وحدك الذى يمكنه أن يحصل لى على إذن بالعودة إلى مصر .. فهل تفعل ؟

وأطرق التابعى برأسه إلى الأرض ..

وظل صامتًا بدقيقة .. مرت عليه وكأنها عمر طويل .

وأخيرًا رفع رأسه ..

● وقال لأسمهان : كلا .. لن أفعل !

أشاحت أسمهان بوجهها عنه ..

ـ وقالت : كنت أتوقع منك هذا الجواب !

● قال : نعم .

قالها بقلب كسير . قالها وقلبه يتصارع مع عقله .

قالها وهو يبكى فى نفسه على هذه النفس الحائرة المعذبة . إنها لم تخلق لاحتراف الغناء . وإذا عادت إلى مصر فسوف تشقى وتشقيه وتشقى نفسًا ثالثة !

وحاول أن يقنعها أن من الخير لها ولابنتها أن تعود إلى زوجها . وأن زوجها يحبها وسوف يصفح عنها . وأنها الآن زوجة وعزيزة

وأميرة محترمة مكرمة , وشتان بين هذا وبين حالها إذا عادت إلى مصر لاحتراف الغناء من أجل العيش .

ولكن أسمهان أعطت التابعى ظهرها .

وانخرطت فى البكاء !

★ ★ ★

■ فى صباح اليوم التالى ..

ذهب ليودعها قبل أن يعود إلى مصر ..

ـ سألته : متى سأراك .. هل سأراك قريبًا ؟

شعر التابعى بشىء يقف فى حلقه ..

● وهو يقول لها : من يدرى !

وكانت هذه آخر مرة يرى فيها محمد التابعى أمير الصحافة أسمهان أو آمال الطرش أميرة الدروز .. على قيد الحياة !

★ ★ ★

الفصل السادس

ابتسامة الأميرة .. دموع الإنسانة !

لم يكن أمير الصحافة محمد التابعى هو الرجل الوحيد فى حياة أسمهان !

لكن المؤكد أن قصة الحب تحولت إلى صداقة . أو صداقة تحولت إلى حب . قد وقعت بينهما .

والمؤكد أيضًا أن التابعى كان أقرب الرجال معرفة بحياة أسمهان وخباياها .. والرجل الذى استطاع أن ينفذ إلى مكنوناتها الشخصية الخفية .. ويلتقط صورة إنسانية مؤثرة عن أسمهان .. ضحكاتها ودموعها .. فرحها وشقاءها .. قوتها وضعفها .. ورحلة حياتها القصيرة المأساوية .

● كان هناك رجل آخر .. وأخير !

هو الفنان الممثل أحمد سالم .. والذى كان فتى الشاشة الأول فى تلك الأيام .. ومعبود النساء فى مصر .. لكنه ذات يوم ذهب فى رحلة قصيرة إلى القدس .. وعاد زوجًا لأسمهان !

والأكثر تأكيدًا أن أحمد سالم قد عرف أسمهان الحقيقية أيضًا !

ألم يكن زوجها الأخير ؟

ألم يعش تفاصيل قصتها لحظة بلحظة ؟

ألم يبق مع أسمهان .. حتى موعدها مع الموت ؟

ولقد روى أحمد سالم كل هذه التفاصيل .. بعد أن نشر محمد التابعى عدة مقالات عن أسمهان .. وما قاله أحمد سالم هو قصة أخرى من قصص دراما الحياة التى يعجز أعظم المؤلفين عن تدبيج أحداثها المثيرة !

وها هوأحمد سالم يفتح بوابة ذكرياته ـ بعد رحيل أسمهان بفترة ـ ويكتب حكايتهما بمداد من مشاعر عميقة فياضة وإنسانية ..

يروى أحمد سالم الحكاية قائلاً :

● فى صباح يوم ١٢ نوفمبر سنة ١٩٤٢ ..

ركبت الطائرة من مطار ألماظة فى طريقى إلى القدس .. وحلقت الطائرة فى السماء .. ثم هبطت إلى الأرض لتحلق بعد ساعات فى السماء .

وغادرت الطائرة التى تشبه حظى فى الحياة .. وأنا أشعر أننى أرتفع ثم أهبط .. ثم أرتفع إلى السماء !

فى ذلك اليوم ..

بدا حظى كأنه قد هبط إلى الأرض !

وغادرت المطار وذهبت إلى فندق الملك داوود .. وشعرت أننى أدخله وكأننى فى سوق بابل !

على باب الفندق كدت أصطدم بفراء جميل .. فراء ناعم « بلاتينيه » من النوع الثمين ..

وكانت أسمهان .. تحت هذا الفراء !

ـ صاحت أسمهان فى دهشة : الله .. إنت هنا ؟

● صمت : نعم أنا هنا .. ولكن أنت .. لماذا أنت هنا ؟ كان يجب أن تكونى فى جبل الدروز ؟

وماكدت أفيق من دهشتى حتى سمعت لغطًا وأصواتًا تتحدث عن « سمو الأميرة » .. وتلفت حولى ..

ـ فسألتنى أسمهان : إنت تدور على مين ؟

● قلت : عن الأميرة .

ـ قالت أسمهان : إنها أمامك .. أنا الأميرة !

وقبل أن أعتذر لها عن جهلى ربتت على كتفى ..

ـ وقالت : والأميرة تدعوك غدًا إلى العشاء .. فأنا الليلة على موعد فى تل أبيب .

واختفى الفراء الأبيض الثمين .

.. وبقيت رائحة عطر أسمهان .. فى أنفى !

لكن ما هى إلا لحظات ..

وطار من أنفى عطر أسمهان .. وطارت من رأسى ذكرى لقائها !

★ ★ ★

ويكمل أحمد سالم القصة قائلاً :

« ولكن فى الليلة التالية تذكرت الموعد .. وقادنى خادم الفندق إلى الجناح الملكى .. نعم كانت أسمهان تقيم فى الجناح المخصص للملوك !

وفى صالون فخم رأيت أسمهان جالسة كملكة متوجة .. وحولها أربعة من الضباط الإنجليز .. قدمتهم لى واحدًا واحدًا .. هذا هو الكولونيل هنرى هانلوك رئيس المخابرات السرية .. وهذا راندولف تشرشل .. وهذا ياور القائد العام .. وهذا الميجر بارنز حاكم مقاطعة طبرية . »

وعرف بارنز أننى من خريجى جامعة كمبريدج .. وهى نفس الجامعة التى تخرج فيها .. واندمجنا فى الحديث .. وأتمت كئوس الويسكى والشامبانيا عملية التقديم والتعريف !

وكانت أسمهان تتحدث الإنجليزية بلهجة ساحرة ..

كانت فى ثوبها الأبيض الأنيق .. وحزامها الذهبى الجذاب .. تبدو كملاك هبط من السماء !

وكان الصالون مزدحمًا بألوان الشراب ..

وكان الطعام موضوعًا بأناقة فى ركن الصالون .. يكفى لإطعام مائة شخص .. طبقًا لنظام البطاقات .. الذى كان ساريًا بالقدس فى تلك الأيام .

ثم بدأت أسمهان تقلد ونستون تشرشل رئيس الوزراء .. وهو يخطب فى الإذاعة !

وصفقنا لها ..

وكان أكثرنا إعجابًا راندولف تشرشل .. ابن رئيس الوزراء !

وتوقفت أسمهان عن تقليد تشرشل .. عندما دخل شوقى السعد بك مساعد مدير الأمن العام !

ثم دخل أحد الأمراء العرب .. وهو شاب فى العشرين .. طويل القامة يرتدى ملابس عربية مزركشة .. تكسبه إجلالاً واحترامًا .

وسرعان ما عادت أسمهان أميرة من جديد ..

ومدت يدها بتراخ جميل .. لينحنى عليها صاحب السمو الأمير !

ثم وصل المليونير شوفسكى وزوجته الحسناء ..

وانقسم الصالون إلى شلل صغيرة .. كانت كل واحدة منها تحتل ركنًا من أركانه .

إن المال والألقاب .. كلها اجتمعت بين يدى أسمهان !

وكانت أسمهان تطوف الأركان جميعًا فى سحر وأناقة فتتكلم العربية فى ركن .. والإنجليزية فى الركن الثانى .. والفرنسية فى الركن الثالث .. ولغة البدو الرحل فى الركن الأخير .. ثم تدور على الأركان من جديد !

وكانت أسمهان بين وقت وآخر ترمى نظرة هنا .. وغمزة هناك .

وتجود بابتسامة على الأمير .. كما يجود محسن على شحاذ جائع برغيف من العيش !

ثم تلقى نكتة يضحك لها الحاضرون ..

إن أسمهان الساحرة لها نظرات ساحرة « كالإسبرانتو » مفهومة بجميع اللغات !

المرح فى كل ركن ..

فريق يتحدث فى السياسة .. وفريق يتحدث فى الحب .. ركن يذكر أيام الدراسة الجميلة فى كمبريدج .. وركن يتحدث عن رصاص المعارك الأخيرة !

وأسمهان فى يدها كأس لا تحب أن تراها فارغة ولا تحب أن تراها ممتلئة .. كما وصف التابعى بحق حبها للشراب .. وكانت زجاجات الخمر فى كل ركن .

لكن أسمهان كانت الإجابة الكبرى التى تملأ كل الكئوس !

ثم رأت أسمهان أن تجمع هذه الأركان فى ركن واحد .. فبدأت تغنى موالاً من أغانى الجبل .. واستطاعت أن تخلب بصوتها لب الجميع .. وراح الإنجليز يشتركون معنا فى ترديد الكورس مع أميرة الجبل !

★ ★ ★

ومضى أحمد سالم يصف نهاية السهرة الخيالية قائلاً :

وعند الساعة الرابعة صباحًا بدأ المدعوون ينصرفون ..

ولما هممت بالانصراف أمسكتنى أسمهان من يدى .

ـ وقالت : إننى لم أرك منذ زمن طويل .. اقعد كلمنى شوية عن مصر .

وبقيت لأكلمها .. عن أسمهان ؟

ولما خرج الجميع رأيت أمامى امرأة أخرى !

إنها ليست الأميرة آمال الأطرش .. إنها أسمهان !

كانت طوال الليل تمثل دور الأميرة الطروب ..

أما الآن فقد خلعت التاج .. وبدت أمامى لأول مرة « أسمهان الإنسانة » !

وكانت « أسمهان الإنسانة » أجمل من « الأميرة آمال الأطرش » !

وكانت أكثر سحرًا .. وجلست بجانبى .

ـ وقالت إنى لم أرك منذ ثلاث سنوات .. حدثنى عما حدث لك فيها .. لأحدثك عما حدث لى !

● قلت لها : كل ما حدث لى نشرته الصحف .. أما ما حدث لك فهو جزء من التاريخ .. والرقابة العسكرية تمنع نشر صفحات التاريخ !

● وحدثتنى عما حدث لها ..

وكانت دموعها تتحدث مع شفتيها !

وجلسنا وحيدين ..

إلى أن تسللت أشعة الشمس من بين ستائر النافذة .. وهنا استأذنت فى الانصراف .

● وقلت لها : لقد دخلت الشمس .. فلأخرج أنا !

وعند الباب دعوتها للعشاء معى ..

ـ فقالت ضاحكة : إننى أميرة .. والبرتوكول يقضى أن أدعوك ثلاث مرات على العشاء .. ثم أقبل دعوتك !

وهكذا ..

قبلت دعوة العشاء الثانية .. والثالثة !

★ ★ ★

كانت مأدبة العشاء الثانية مثل مأدبة العشاء الأولى ..

لكن كان هناك فارق واحد .

الأولى انتهت فى الرابعة صباحًا .. والثانية أنهتها أسمهان فى الساعة الثانية .

●وكانت أسمهان أميرة من جديد !

إنها ترتدى فى السهرات ملابس الإمارة !

الابتسامة تملأ شفتيها .. وكلمات الترحيب الملكية على لسانها .. ونظرات السعادة تشع من عينيها .. كل شىء فيها يدل على السعادة

والهناء .. ليست هى التى رأيتها أمس .. الشقية البائسة .. الإنسانة التى لها آلام وأحزان كآلام البشر .

وقلت لنفسى .. لعل سموها نسيت حديثها مع « الشعب » !

ولكن قبيل انتهاء السهرة خلعت تاجها فجأة لتعود إنسانة حزينة من جديد !

وانصرف الجميع ..

وبقينا نحن الاثنين ..

والتقطنا خيوط أحاديث الأمس .. وتجمعت هذه الخيوط فى يد أسمهان .

وقالت لى أن كتفيها تعبتا من حمل ألقاب الإمارة .. وأن روحها سئمت جو الفخفخة والأبهة !

وقالت إنها تحن إلى جوها القديم .

واعترفت لى بأن أسمهان التى كانت لا تجد ثمن الدواء .. أسعد حالاً من الأميرة التى تعيش فى القصور .. وينحنى أمامها أكبر القواد وأعظم الزعماء !

نعم .. لقد سئمت أدوار الممثلين .. وتريد أن تجلس فى مقاعد المتفرجين !

وكنت أعرف أسمهان منذ تسع سنوات ..

ولكننى فى تلك الليلة اكتشفت أننى ما عرفت سوى .. « الممثلة أسمهان » !

أما الليلة .. فقد عرفت أسمهان بغير ماكياج !

لقد غسلت دموعها آثار التمثيل .. وكشفت عن قلب أسمهان !

وشعرت برغبة ملحة أن أمسح دموعها .. بشفتى !

لكن حرارة شفتى تراجعت أمام بلاغة حزنها !

وطلعت الشمس .. فمسح النهار دموع المساء !

★ ★ ★

عدت إلى حجرتى لأنام .. لكنى لم أنم !

فى الصباح دق باب حجرتى بعنف ..

وإذا بالبواب يطلب منى أن أجمع حقائبى فورًا وأرحل عن الفندق .. لأن وينستون تشرشل رئيس وزراء بريطانيا سيحتل حجرتى !

ـ سألته : حجرتى أنا ؟

● قال البواب : كلا .. إنه سيحتل جميع حجرات الفندق .. وقد صدرت الأوامر بخروجكم فورًا .

ـ سألت : وأسمهان ؟

● قال : لقد انتقلت إلى دار أرملة راغبى النشاشيبى بك .

وغادرت الفندق إلى الطبرية لأقيم عند صديقى الماجور بارنز .. وتركت إشارة تليفونية لأسمهان ذكرت فيها عنوانى الجديد .

ومضى يوم ولم تتصل بى أسمهان ..

ويومان .. وثلاثة أيام .

وبعد أسبوع عدت إلى فندق الملك داوود وسألت عنها .. فقيل لى إنها لم تعد إلى جناحها الملكى بعد .

وجلست فى بهو الفندق ألعب الورق مع بعض الأصدقاء .. وإذا بأسمهان ورائى ..

وتظاهرت بأننى لم أرها !

لكنها اقتربت منى ..

ـ وقالت : إنت لسه هنا .. افتكرت إنك سافرت !

● قلت لها : لو إنك قرأت رسالتى .. لعرفت أين أنا !

قالت إن الرسالة لم تصل إليها .. وصدقتها لأنى كنت أتلهف على سماع هذا الرد .. ولو لم تكن صادقة !

● ثم قلت لها : إننى عائد إلى مصر غدًا ..

ـ قالت لى : إرجئ سفرك بضعة أيام .. فإننى وحيدة .. وأصدقائى هم أصدقاء حرب جمعتنى بهم ظروف الحرب .. ولا تنسى أننى دعوتك إلى العشاء ثلاث مرات .. وجئت مرتين .. وبقى أن تلبى الدعوة فى الليلة الثالثة !

★ ★ ★

كانت سهره دعوة العشاء الثالثة كأنها مشهد من أحد الأفلام العاطفية الرومانسية المليئة بالخيال والأقرب إلى الأساطير ..

هكذا وصفها أحمد سالم قائلاً :

« بدأت السهرة الرسمية الثالثة .. كما بدأت السهرة الأولى والسهرة الثانية .. ولكن أسمهان أنهتها عند منتصف الليل .. لما عانق عقرب الدقائق عقرب الساعات .. وهمس فى أذنه تحية لليل ! »

وبدأ المدعوون ينصرفون ..

وبقيت فى مكانى ..

وفتحت أسمهان النافذة ووقفت ترقب النجوم ..

ووقفت بجوارها أحاول أن أقرأ لغة النجوم .. أنا وأسمهان .. نسألها عن المستقبل القريب .. ونستفسر منها عن طريق السعادة البعيد !

كانت تبحث عن السعادة .. وكنت أبحث عنها .

كانت تبنى لنفسها قصراً فى الهواء .. وكنت أبنى لنفسى قصوراً فى خيالى !

ونصحتنى أن أبدأ حياة جديدة .

ونصحتها أن تغلق كتاب الماضى .. وتفتح صفحة بيضاء .

وتركنا النافذة وجلسنا على الأرض نحلم بالسماء !

وجاء الفجر ..

فبدد أحلام الليل وقامت تودعنى عند الباب .

● قلت لها : أظن أن بروتوكول الإمارة يسمح لى الآن أن أدعوك إلى العشاء .

ـ قالت باسمة : إن البروتوكول يسمح .. ولكنى دعوت إلى بيتى الريفى حمدى سيف النصر باشا وعثمان محرم باشا .

● سألتها : أى بيت ريفى ؟

ـ قالت : لقد استأجرت بيت اللورد « زيف » فى ضاحيت « تيلموند » المجاورة لتل أبيب .. وحمدى باشا يريد أن يبنى بيتًا مثله فى عزبته بالفيوم .. وقد اصطحب معه المهندس محمد عرفان بك لمعاينته .. وعند خروجهم سأتصل بك لتدعو الأميرة إلى العشاء !

★ ★ ★

● فى الساعة العاشرة من صباح اليوم التالى ..

اتصلت بى أسمهان تليفونيًا وأخبرتنى أن الوزيرين والمهندس قضوا الليل فى بيتها الريفى .. وأنهم خرجوا الآن بعد أن تناولوا طعام الإفطار .

وطلبت منى أسمهان أن أحضر فورًا لأدعوها إلى العشاء !

وذهبت إلى قرية « تيلموند » مع الوجيه جوزيف مطران .. وهى إحدى ضواحى تل أبيب .. وهى قرية جبلية تطل على مئات الأفدنة المغطاة بأشجار البرتقال .

ووصلنا إلى بيت أسمهان الريفى ..

واستقبلنا عند الباب « بنجى » كلبها الأسود الجميل .

ورحب بى الكلب !

★ ★ ★



لم ينس أبدًا الفنان وفتى الشاشة الأول أحمد سالم الزواج الأخير لأسمهان .. تفاصيل الأيام التى عاشها معها فى القدس .. وكيف تم اللقاء الأول بينهما مصادفة أمام باب فندق الملك داوود .

وفيما بعد روى أحمد سالم بالتفصيل كيف بدأت قصة الحب بينهما بسرعة .. وكيف انتهت بالزواج .. وظل يتذكر حتى بعد رحيل أسمهان .. اللحظات الحلوة التى عاشها معها هناك .. وكيف وجهت له بصفتها أميرة الدروز الدعوة إلى العشاء ثلاث مرات كما يقضى البروتوكول .

وروى أحمد سالم ما حدث فى سهرة العشاء الأولى .. وكيف تعرف إلى أسمهان الإنسانة .. وليس الأميرة آمال الأطرش .

وروى ما حدث فى سهرة العشاء الثانية .. وكيف جرت دموع أسمهان .. فكاد أن يمسحها بشفتيه .. لكن إحساسه بحزن أسمهان الصادق أوقفه !

ثم روى تفاصيل سهرة العشاء الثالثة ..

وكانت سهرة رومانسية ربطت بخيوط شفافة بينه وبينها .. ثم فى اليوم التالى .. طلبته أسمهان للحضور إليها فى البيت الريفى الذى استأجرته فى إحدى ضواحى تل أبيب .. فذهب إليها مع أحد أصدقائه مسرعًا .. وفوجئ بكلبها الصغير يرحب به على باب البيت !

ووقف أحمد سالم ينظر مبتسمًا إلى « بنجى » كلب أسمهان الأسود الجميل .. كان الكلب ناعم الشعر طويل الأذنين من النوع المعروف باسم « سبانيال » .. وكان أعز أصدقاء أسمهان إلى قلبها .. بل إن الكلب الصغير اشتبك ذات يوم مع قطة .. فخربشت عينه .. وبكى الكلب .. وبكت أسمهان !

واستدعت أسمهان أكبر أطباء العيون فى تل أبيب والقدس !

وطلبت منهم عمل « كونسلتو » على كلبها العزيز !

★ ★ ★

وراء الكلب الذى رحب بأحمد سالم على باب البيت ..

جاءت « مارتا » الخادمة العجوز .. وكانت أسمهان تسميها ضاحكة « كبيرة وصيفات الأميرة » !

لأن الخادمة العجوز كانت تخدم وتطبخ وتراقب الجناينى .. لأنها كانت زوجته !

ثم ظهرت أسمهان ..

كانت ترتدى بنطلونًا أزرق وعمامة بيضاء .. وليس على وجهها أثر واحد من آثار الماكياج .

نظر إليها أحمد سالم بشغف ..

ووجد أمامه « ست بيت » تختلف عن الأميرة الطروب آمال الأطرش .. والفتاة الحزينة أسمهان !

كانت أجمل من الاثنتين .. وأصغر سنًا .

● **وطوال اليوم ..**

لم تنقطع أسمهان عن الغناء !

كانت تغنى وهى تعد المائدة .. وتغنى وهى تجمع الأزهار فى الحديقة .. وتغنى وهى تساعد « مارتا » فى طهى الطعام وغسل الصحون .

وكانت أسمهان سعيدة ببيتها الريفى وفخورة به ..

وبرغم باطنه فقد كان بيتًا أنيقًا .. به أربع غرف نوم .. وجميع الكماليات .. التى تحلم بها أية ربة بيت .. وفى كل مكان كان هناك فريجيدير .. فى المطبخ .. فى الأوفيس .. فى البار .

● وقالت أسمهان لأحمد سالم : إننى هنا أعيش فى الجنة .. ولا تأتينى فاتورة الحساب آخر الأسبوع كما هو الحال فى فندق الملك داوود !

أخرج أحمد سالم علبة سجائر .. وقدم منها لأسمهان سيجارة .

● فاعتذرت له قائلة : إننى هنا فى المحراب .. لذلك لا أدخن ولا أذوق الخمر !

وأعاد أحمد سالم السجائر إلى جيبه .. واتفق مع صديقه جوزيف مطران أن يحترما تقاليد محراب أسمهان .. فلا يدخنا ولا يذوقا الخمر ..

وبدت هذه المجاملة بالنسبة له محتملة فى أول الأمر .. لأنه كان من المفترض ألا يبقى مع صديقه فى محراب أسمهان أكثر من ثلاث ساعات .

لكنهما بقيا عندها أربعة أيام !

ولم يشعر أحمد سالم بالحرمان من السجائر أو الخمر .. لأن عقارب الزمن كانت لا تتحرك فى البيت الريفى .

ومع أسمهان .. لم يكن يعرف الزمن ولا يهتم بالتطلع إلى الساعات !

والسعداء عادة لا يتطلعون إلى عقارب الزمن .. ولا يشعرون بحركاتها !

وعندما جاءت سيرة النساء ..

● قالت له أسمهان : الرجال أكثر وفاء من النساء .. ولكنى أقل منهن ذكاء !

* * *

وفى صباح يوم ٢٥ نوفمبر ..

تذكرت أسمهان أنه عيد ميلادها .. وأنها كانت قد قررت الاحتفال به فى دار عابدين بك المساعد الثانى لمدير الأمن العام .. وأنها دعت إلى الحفلة عددًا من الأصدقاء .

● فعادت مع أحمد سالم إلى القدس ..

وحضر حفلة عيد ميلادها الأمير العربى وحسين العوينى بك وزير مالية لبنان وشوقى السعد بك وحرمه وفريد الأطرش وفرقته الموسيقية .. وكانت مكونة من كامل إبراهيم وأحمد الحفناوى ورمزى وأنور منسى .

ولم يحضر الحفلة أحد من أصدقاء أسمهان الإنجليز ..

وقدم للمدعويين طعام شرقى فخم وخراف مشوية على الطريقة العربية .. وتورتة ضخمة عليها .. عشرون شمعة !

● وهمست أسمهان فى أذن أحمد سالم : عشرين شمعة ليس معناها أن عمرى عشرين سنة .. ولكن معناها أننى عرفت السعادة ٢٠ ساعة !

● وبعد العشاء ..

فوجئ أحمد سالم بأسمهان وهى تتحزم بمنديل على ثوب السهرة الأزرق الجميل .. وتمسك عصا وترقص عشرة بلدى .. وتغنى أغنية ثريا حلمى « إنت تزقنى .. فشر » !

واستنكر أحمد سالم هذا .. وعبر عن استنكاره لأسمهان أمام جميع الحضور .

فتوقفت أسمهان عن الرقص فى الحال !

ثم حدث موقف لم يكن يخطر أبدًا على بال أحمد سالم ..

فقد اقترب منه الأمير العربى الشاب .. وتحدث معه بضعة كلمات سريعة لم يفهمها .. ثم صفع أحمد سالم على قفاه !

وكانت مفاجأة لم يكن أحمد سالم يتوقعها ..

وللحظة ارتفعت يده لكى يرد الصفعة .. لكنه أسرع بوضع يده فى جيبه !

وأخذ يحدث نفسه : ترى هل « صفعة الأمير » تحية جرت عليها التقاليد فى بلاده ؟!

أم إنها إهانة كما جرى العرف فى مصر ؟

وعزم أحمد سالم الأمر فى نفسه وقال لنفسه : سواء كانت تحية أو إهانة .. يجب أن أرد الصفعة !

وتظاهر بأن الصفعة تحية !

فضحك واقترب من الأمير العربى .. وقال له عدة كلمات بسرعة على طريقة سموه .. ثم صفعه على قفاه !

■ وساد الصمت ..

وحدث وجوم من الجميع ..

واحمرت عينا الأمير ..

• ومرت ثوان بدت كأنها ساعات .

واندفعت أسمهان نحو الأمير العربى ..

• وقالت له وهى تسحبه من يده : أريد أن أغنى لك أغنيتك المفضلة وأنت بجانبى !

وفيما بعد فهم أحمد سالم أن صفعة الأمير له لم تكن تحية .. وإنما عقابًا له .. لأنه تجرأ وانتقد الأميرة آمال الأطرش !

ولولا سرعة خاطر أسمهان .. لأودع الأمير خنجره فى قلب أحمد سالم :

وأخذت أسمهان تغنى ..

تغنى للأمير وحده !

وشعر أحمد سالم أنه أصبح غريبًا فى الحفلة .. فقد التف الجميع حول الأمير .. وبقى وحده فى مكانه .

وعندما انتهت أسمهان من الغناء استأذن فى الانصراف .. فقامت أسمهان وانحنت له انحناءة كبيرة .

ـ قال لها أحمد سالم : هذه الانحناءة لا تكون إلا للأمراء !

• قالت أسمهان : واللى يضربوا الأمراء كمان !

★ ★ ★

ورغم ذلك فقد غادر أحمد سالم الحفلة وهو يشعر أنه وحيد .. فى فلسطين كلها !

وامتلأ قلبه فجأة بالحنين إلى الوطن ..

ـ وقال لنفسه : لتكن هذه آخر ليلة لى فى فلسطين .

وبدأ يستعرض حوادث الليلة وأحداثها الصاخبة العنيفة وختامها السيئ ..

وارتمى أحمد سالم على فراشه متضايقًا .. واستيقظ فى الصباح على صوت تليفون حجرته يدق دقًا عنيفًا متواصلاً .. ونظر إلى الساعة فوجدها الثامنة صباحًا .. ورفع سماعة التليفون .

• وكانت أسمهان ..

ـ قال لها وهو يحاول طرد النوم من عينه : هكذا فى الصباح الباكر .. متى انتهت الحفلة ؟

• ردت أسمهان : منذ عدة دقائق .. لعلك لم تتضايق من لهجتى أمس ؟

ـ قال لها أحمد سالم .. لقد كان علىّ أنا أن أعتذر لك .. فلا أظن أننى ظهرت بالمظهر اللائق فى حفلة كلها أمراء .. وعلى كل حال فقد حسمت موقفى وقررت أن أنسحب من الميدان ..

• قاطعته أسمهان : لقد كنت واثقة من أنك ستخطئ فى فهم الموقف .

ثم أخذت تشرح له وجهة نظرها .. وقالت إن تصرفها السريع كان درءًا لخطر شديد يهدد حياته شخصيًا .

● واستطرت وهى تضحك : لقد أهنت أميرًا تعود أن يهين ولا يهان .. وكان الطبيعى أن يقتلك .. ولم يكن هناك مفر من أن أشغله .. وكان هذا أيضًا ما دفعنى إلى عدم التشبث ببقائك لما طلبت الانصراف .. هل اقتنعت الآن ؟

وأحس أحمد سالم أن شيئًا ما فى أعماقه .. قد اقتنع !

وكان هذا الشىء الغامض المجهول يلح عليه .. أن يقتنع !

فاقتنع !

وأحست أسمهان بغريزتها المرهفة أنها كسبت المعركة !

وانتهت المكالمة التليفونية بأن دعته أسمهان على العشاء فى ملهى « الريجانس » الليلى بفندق الملك داوود .. وأصلاً كانت الدعوة للاثنين من شوقى بك السعد وحرمه .

* * *

● فى الساعة السابعة مساء نفس اليوم ..

كان أحمد سالم يخترق بهو الفندق فى طريقه للملهى الليلى .. حين لمح أسمهان جالسة مع عدد من أصدقائها اللبنانيين .. وكان عددهم رجالاً وسيدات يقرب من عشرة .

اتجه أحمد سالم نحو أسمهان التى نهضت للقائه .. وسألها عن السهرة .

● فقالت : اسبقنى إلى هناك وانتظرنى .. وسوف ألحق بك .. إنهم ينتظرونك هناك .

ـ رد عليها بطريقة شبه آلية : طيب يا روحى !

قال أحمد سالم هذه الكلمة وهو لا يعنى من ورائها شيئًا .

إنها مجرد كلمة دارجة على لسانه .

ولم يخطر على باله لحظة أن هذه الكلمة الصغيرة .. ستكون مفتاحًا مما سيأتى من أحداث .

●ويا لها من أحداث !

بعد دقائق دخلت أسمهان الملهى الليلى .. وقبل أن تجلس قالت للحاضرين إنها تريد أن تستشهد بهم فى مشكلة خطيرة سببها لها هذا « الأستاذ » .

وأشارت نحو أحمد سالم !

الذى نظر إليها فى دهشة ..

وجلست أسمهان وبدأت تكمل حديثها .

● فقالت : لقد وجه لى الحديث أمام عشرة من مواطنى بكلمة « يا روحى » .. وهو بهذه الكلمة قد سبب لى إحراجًا أمامهم .. ولم أجد ما أرد به على نظراتهم المتسائلة .. سوى أن أقول لهم إنه خطيبى !

■ وضحكت أسمهان ..

● ثم وجهت الحديث إلى أحمد سالم قائلة : والآن إما أن تصحح مركزى على هذا الوضع .. وإما أن ترسل لى شهودك للمبارزة صباح الغد !

ـ رد عليها أحمد سالم وهو يسايرها فى لهجتها المرحة : لو كنت أتقن المبارزة لاخترتها .. ولكنى مضطر لقبول الحل الأول !

وهنا رفع الأصدقاء كئوسهم يشربون نخب .. الخطوبة !

ولم يخطر على بال أحد منهم .. ولا حتى أحمد سالم نفسه أو أسمهان نفسها .. أن الأمر جد حقيقى .. وإنما نظر الجميع إليه على أنه تسلية لتمضية السهرة .. تسلية لطيفة !

* * *

واستمرت هذه « التسلية » طوال السهرة ..

وكانت ملكة جمال الإسكندرية تجلس معهم .. ونهض أحمد سالم يرقص معها .. ولم تنس ملكة جمال الإسكندرية قبل أن تنهض معه أن تستأذن « خطيبته أسمهان » لتسمح لها بمراقصته !

وانتهت السهرة فى هذا الجو المرح ..

واقترحت أسمهان أن يركب الجميع السيارات إلى « البحر الميت » .

● وقالت وهى تضحك : الناس لا يتركون ضوء القمر ويذهبون إلى النوم !

وعاد الجميع من رحلة « البحر الميت » قرب الصباح .

وذهب أحمد سالم مع أسمهان ليوصلها إلى جناحها الملكى فى الفندق .. لكنه وجد نفسه يدخل وراءها إلى الصالون بحركة آلية .. واتجه الاثنان ناحية النافذة .. التى وقفا معًا أمامها الليالى السابقة ..

وسرحت نظراتهما على القدس الجميلة .. وقد لفتها غلالة ساحرة من أضواء الفجر ..

● وساد بينهما صمت ..

لكن أحمد سالم شعر أنه يتحدث مع أسمهان وتتحدث هى معه بلغة مجهولة .. لغة ليس فيها كلمات ولا حروف ولا أصوات .. وإنما فيها مشاعر وأحاسيس وعواطف مبهمة غامضة .

وقطعت أسمهان الصمت ..

تنهدت من أعماقها ..

● وقالت وفى صوتها أسًى حالم : لماذا يطلع الصبح .. إن ضوء النهار دائمًا يبدد أحلام الليل ويطاردها ..

وسكتت برهة ..

● ثم عادت تقول فى انفعال : لماذا لا تكون الحياة كلها حلمًا .. ولماذا يصدمنا الواقع بمرارته .. لقد كانت هذه الليلة حلمًا .. فلماذا لم تكن حقيقة ؟

وعادت أسمهان للصمت مرة أخرى ..

● ثم رجعت تتحدث بصوت جميل كندى الصباح وتقول : لو كان هذا هو الواقع .. وكنا نعيش فيه ؟

وتشابكت أيدى أسمهان وأحمد سالم فى حركة لا إرادية ..

● وعادت أسمهان تقول بصوت حالم : ولِمَ لا .. ويطلع علينا الصباح ونحن متزوجان .. ونهاجر إلى بلد حر مثل أمريكا .. ونشارك أهلها فى سعادتهم .. أنا وأنت شركاء فى التعاسة .. فلماذا لا نبدأ معًا عهدًا جديدًا ؟

ووجد أحمد سالم نفسه كأنه منوم مغناطيسيًا !

بل إن أسمهان ذاتها .. كانت تبدو كذلك !

واندفع كل منهما نحو الآخر ..

وكانت قبلة جميلة .

وتعاهد الاثنان بعدها .. على الزواج !

وعاد أحمد سالم .. إلى غرفته .

★ ★ ★

الفصل الثامن

من أجلك حبيبتى .. طلقتك !

ترك أحمد سالم أسمهان فى الجناح الملكى بفندق الملك داوود ومضى إلى حجرته كالمسحور !

كانت كل لقاءاته مع أسمهان .. وخاصة سهرة الأمس .. قد أحدثت فى نفسه أثرًا غريبًا .

ونام والمشهد الأخير فى عينيه ..

مشهدهما معًا يتعاهدان على الزواج .. والفجر يلقى بأنواره الجميلة على مدينة القدس .

لقد حدث كل شىء بسرعة شديدة كأنه حلم !

ونام ..

واستيقظ أحمد سالم قرب الظهر .. ونهض يرتدى ملابسه وهو يفكر فى الليلة الماضية وأحداثها الغريبة .

وغادر حجرته متجهًا نحو جناح أسمهان .. وهو يظن أن ضوء الشمس غير أنوار الفجر .. وأنه سيبدد أحلام الصباح الباكر .

لكنه وجد أسمهان لا زالت تتذكر كل شىء ..

قابلته وهى تضحك ..

● وقالت له : رد بسرعة من غير ما تفكر .. كان حلم وإلا ما كانش ؟

● ضحك أحمد سالم ..

ـ وقال لها : ما كانش !

ـ ثم استطرد قائلاً : إذا كنت مازلت عند رأيك .. فأنا لم أتغير !

● قالت له أسمهان : ولا أنا تغيرت !

★ ★ ★

وروت أسمهان لأحمد سالم كيف أنها سألت خمسة من أصدقائهما بينهم شوقى بك السعد والسيدة شفيقة النشاشيبى فسألتهم بسرعة وبنفس الطريقة « رد بسرعة من غير ما تفكر » وكان السؤال « ما رأيهم لو تزوجت أحمد سالم » .

● قالت أسمهان : ولقد وافقوا جميعًا .

وهكذا انهمك أحمد سالم وأسمهان على الفور فى إجراءات الزواج .. وذهبا إلى دار السيدة شفيقة النشاشيبى وكانا قد قررا أن يعقدا الزواج فيه .. لكنهما فوجئا بسلسلة من العراقيل !

فى البداية طلب المأذون أولاً وثيقة طلاق أسمهان من زوجها الأمير حسن الأطرش .. ولكن مثل هذه الوثائق لا وجود لها فى شرع جبل الدروز .. وقالت أسمهان أن هناك رسالة بخط الأمير فيها اعتراف وإقرار بالطلاق .. لكن هذه الرسالة مع شقيقها فؤاد الأطرش فى القاهرة !

وأخيرًا قدم الاثنان طلبًا لقاضى قضاة القدس .. معززًا بعدة نسخ من مجلات سورية ولبنانية نشرت خبر الطلاق !

وأحضرا شهودًا قرروا أنهم تأكدوا من وقوع طلاق أسمهان ..

وأخيرًا .. تم الزواج !

★ ★ ★

● **فى اليوم التالى ..**

سافر أحمد سالم وأسمهان إلى « طبريا » ليقضيا شهر العسل على شواطئ البحيرة الجميلة .

وهناك أمضيا عدة أيام فى سعادة ..

أيامًا هانئة كالأحلام .. وليال سعيدة كالنجوم .. وأحس أحمد سالم وأحست أسمهان .. أن كل منهما يستطيع أن يستند برأسه المتعب إلى صدر الآخر .. ينشد السلوى والعزاء .. ويتطلع إلى الغد بأمل وثقة .

وذات صباح دق جرس التليفون فى حجرتهما ..

وكان المتحدث صديقهما شوقى بك السعد .

ـ الذى قال لأحمد سالم : الحوداث فى القدس تتطور بشكل يستدعى عودتكما إليها .

وقال لهما شوقى بك إنه قابل بالأمس محمد فوزى بك قنصل مصر العام فى القدس .. الذى سأله عن خبر زواجهما فأكده له .. فقال له محمد فوزى إن له اعتراضان أولهما أنه كان يجب إبلاغه بهذا الزواج .. والثانى اعتراض رسمى .. وهو أن هذا الزواج كان يجب أن يعقد عن طريق القنصلية .. وإلا فإنه يكون غير قانونى .. من وجهة النظر الرسمية المصرية .

ـ رد أحمد سالم على شوقى بك قائلاً : بسيطة !

وقرر مع أسمهان أن يعودا فى اليوم التالى إلى القدس ..

وفى القدس قابلا محمد فوزى بك فى القنصلية المصرية بحى القطامون .. واعتذر له أحمد سالم عن تقصيره وأن السبب يرجع إلى جهله بالرسميات .

ـ وسأله أحمد سالم : والآن .. ماذا ينبغى أن أفعل ؟

● قال له محمد فوزى بك : أولاً يجب أن تكتب طلبًا للقنصلية .. التى سترسل هذا الطلب إلى وزارة الداخلية فى القاهرة للتصديق عليه ..

وكتب أحمد سالم الطلب ..

وبقى فى القدس مع أسمهان ينتظر الرد !

★ ★ ★

كان خبر زواج أسمهان وأحمد سالم قد انتشر بسرعة ..

وبدأت تصل إليهما فى القدس الصحف المصرية .. وفيها هجوم على هذا الزواج وعلى أحمد سالم وعلى أسمهان !

وقدم أحمد سالم هذه الصحف لأسمهان وهو يشعر بالمرارة ..

وحاول أن يهدئ من روعها .. بينما هو نفسه كان نهبًا لمشاعر متباينة .

وبدأ القدر يدفع الأحداث بسرعة ..

وبدأت تظهر فى القدس وجوه تعرفها أسمهان !

وجوه من جبل الدروز !

وكانت أسمهان تمسك بيد أحمد سالم فى خوف ..

وتهمس فى أذنه بصوت مرتعش : هذا فلان .. لقد قتل عشرة !

وكان هناك كثيرون من هذا النوع تتراوح مؤهلاتهم بين قتل عشرة .. وعشرين !

وبدأ ضغط سوريا يزداد بصورة جلية واضحة .. عندما تسلمت أسمهان ذات صباح إخطارًا من إدارة الأمن العام فى القدس .. تنذرها بأن إقامتها فى فلسطين قد انتهت .. وتطلب منها مغادرة البلاد فى ظرف أسبوع واحد !

وأحس أحمد سالم أنه وأسمهان .. مثل فأرين حاصرهما قطيع من القطط !

كيف يغادران القدس فى ظرف أسبوع واحد ؟

وإلى أين ؟

مصر ؟

إن الموافقة على زواجهما لم تصل بعد .. ومعنى هذا أن أسمهان لا تستطيع دخول مصر !

سوريا ؟

إن سوريا هى الخطر الأكبر .. وما أن يجتازا حدودها حتى تختفى أسمهان .. فقد كان هناك مبلغ كبير موضوع على رأسها !

شرق الأردن ؟

إن هناك ود كبير بين الملك عبد الله وجبل الدروز !

كان الحصار مخيفًا ..

هكذا ظل الاثنان طوال الليل فى حيرة !

* * *

وفى الصباح ذهب أحمد سالم إلى القنصلية المصرية فى القدس .

ـ وسألهم : هل فى خبر من القاهرة ؟

قالوا له إن وزارة الداخلية أرسلت برقية مستعجلة تطلب فيها تفصيلات ووثائق عن هذا الزواج .. وأكثر من هذا تستهجن تصرف قاضى قضاه القدس الذى عقد الزواج !

وشعر أحمد سالم بأن الأمور فى مصر تسير على غير ما يشتهى هو وأسمهان .. وأن الرياح تهب من الناحية الأخرى !

وقرر أحمد سالم أن يطير بنفسه إلى القاهرة ..

وذلك لكى يستعجل الموافقة ويسعى بمعونة « ستديو مصر » .. الذى كان مهتمًا بإدخال أسمهان إلى مصر .. لكى تنفذ عقدًا على فيلم اتفقت على الظهور فيه لحسابه .. وكان الاستديو قد دفع ألفى جنيه مقدمًا لأسمهان .. وكان يهمه بالطبع ألا يضيع عليه المبلغ .

ووافقت أسمهان على خطة أحمد سالم ..

وسافر وتركها فى حماية كلبها « بنجى » !

وطار إلى القاهرة ..

وخرج أحمد سالم من المطار إلى ستديو مصر مباشرة .. وشرح الموقف كله لمدير ستديو مصر حسنى نجيب بك .

ونظر حسنى نجيب فى ساعته ..

● وقال له : هيا بنا الآن نذهب للقاء محمود غزالى بك مدير الأمن العام .

● وذهبا إلى الرجل ..

ـ لكن أحمد سالم فوجئ بغزالى بك يعطيهما محاضرة فى الدستور ويقول لهما : إن الدستور ينص على أن كل أجنبية تكتسب الجنسية المصرية إذا تزوجت من مصرى .. وهذا النص لم يعدل إلا بأمر إدارى صدر « للمأذونين » بألا يعقدوا زواجًا من هذا النوع .. إلا بعد الرجوع لوزارة الداخلية .. والآن لو صرحنا لأسمهان بدخول مصر فإنها تكتسب الجنسية المصرية على الفور وهو أمر لم يتقرر بعد .

● سأله أحمد سالم : وما الحل ؟

نظر غزالى بك إلى سقف الغرفة ..

ثم قال له : تطلقها !

● هتف أحمد سالم فى استنكار : أطلقها ؟

ـ رد عليه غزالى بك : نعم .. نحن نستطيع أن نصرح لها بدخول مصر .. ما لم يترتب على هذا اكتسابها للجنسية المصرية .. أى أن هذا لن يتم ما دامت أسمهان زوجتك !

وبدأ أحمد سالم يقلب المسألة فى عقله ..

ماذا يصنع .. وكيف يتصرف ؟

يطلق أسمهان .. فيسمح لها بدخول مصر ؟

أو يرفض الطلاق .. فلا تدخل ؟!

والمفروض أن عليها أن تغادر فلسطين بعد ٣ أيام !

وتغادرها إلى أين ؟

وكيف والحصار محكم حولهما من كل ناحية ؟

وهكذا وجد نفسه بلا تردد .

ـ يقول لغزالى بك : أنا على استعداد للطلاق !

★ ★ ★

طلب الغزالى بك مدير الأمن العام من أحمد سالم أن ينزل فورًا إلى أقرب مأذون .. وأن يعود إليه وفى يده وثيقة طلاقه لأسمهان !

وكان أقرب مأذون .. هو مأذون عابدين .

لكن المأذون قال لأحمد سالم أنه لا يستطيع أن يجرى الطلاق .. ما لم تكن تحت يده وثيقة زواج مصرية .. أو مصدق عليها من الجهات الرسمية المصرية .

وعاد أحمد سالم إلى غزالى بك يطلب منه التصديق على وثيقة الزواج الذى عقد فى القدس .. ليستطيع المأذون اجراء الطلاق .. لكن غزالى بك رفض .. وقال إنه سيجرب محاولة أخرى ..

● واتصل غزالى بك بوزارة العدل ..

● وأخيرًا قال لأحمد سالم : إن قاضى محكمة السيدة زينب الشرقية سوف يحكم لك بالطلاق من الوثيقة الفلسطينية .

وأرسل أحمد سالم برقية لأسمهان حاول فيها أن يشرح لها الموقف .

وكان نص البرقية : الأميرة آمال الأطرش ـ فندق الملك داوود ..

خشيت الداخلية عدم إمكانى إخراجك فى نهاية الثمانى أشهر فطلبت منى الطلاق أمام المحكمة .. فقبلت وتحدد له الساعة التاسعة صباح السبت بعد باكر .. ولم يبق للداخلية طلبات جديدة مطلقًا .. بل سيصدر التلغراف بالتأشيرة بمجرد استلام ورقة الطلاق .. وعلى كل حال أنت لا تحبين سفر يوم الجمعة .. كل تضحية فى سبيل إنهاء مسألتك ستعمل .. لك حبى .

التوقيع .. أحمد سالم !

غ غ غ

■ صباح يوم السبت ..

تلقى أحمد سالم من أسمهان برقية نصها : « أحمد سالم - ٤٥ شارع سليمان باشا - القاهرة .. لم يصلنى تغيير فى الحالة .. فى شدة القلق .. ومشتاقة إليك جدًا .. حبى إليك .. آمال الأطرش » !

● وفى نفس اليوم تم الطلاق ..

وذهب أحمد سالم إلى مكتب غزالى بك مدير الأمن العام .. الذى ما أن تسلم وثيقة الطلاق حتى أصدر أمره بإرسال برقية لأسمهان تحمل لها الإذن بدخول مصر .

وخرج أحمد سالم من عنده ليرسل لها برقية تقول : « الأميرة آمال الأطرش - فندق الملك داوود - القدس - مبروك .. مبروك .. مبروك .. تجدين تلغراف الوزارة فى القنصلية هذه الساعة .. أحمد سالم » !

● وأخيرًا انتهت الأزمة ..

وتلقى أحمد سالم برقية من أسمهان تخبره فيها أن قطارها سوف يصل إلى القنطرة فى الرابعة صباحًا .. وتطلب منه أن ينتظرها هناك .

وفجأة دق جرس تليفون أحمد سالم ..

وكانت المتحدثة مارى قلادة أقرب صديقات أسمهان .. والتى فى النهاية لقيت معها نفس المصير المحزن .

- فقالت مارى قلادة لأحمد سالم الذى لم يكن قد رآها بعد : لا بد أن نلتقى .. لا بد أن أرى كيف يبدو زوج أعز مخلوقة علىّ فى هذه الدنيا !

والتقى أحمد سالم بمارى قلادة فى شرفة فندق كونينيتال .. وأخبرته أن أسمهان أرسلت لها برقية تطلب منها أن تذهب إلى أحمد سالم للقائها فى محطة قطار القنطرة .

وذهب الاثنان إلى مدينة القنطرة ..

وكانت لا تزال هناك ساعات على وصول القطار الذى يقل أسمهان ..

وظل الاثنان يتحدثان عن أسمهان ..

● وسألته مارى قلادة : ما هو قرارك ؟

- قال أحمد سالم : ليس لى حق الخيار .. لقد ظهر أن كل الذين يستطيعون مساعدة أسمهان لن يفعلوا ذلك ما دامت زوجتى .. وأنا لهذا السبب قررت أن أبتعد عن حياتها .. وستكون عودتنا من القنطرة آخر شىء فى حكايتنا !

ووافقته مارى قلادة على رأيه ..

● ووصل قطار أسمهان ..

وركبت السيارة إلى جوار أحمد سالم .. وجلست مارى قلادة فى المقعد الخلفى .. وانطلق الثلاثة عائدين إلى القاهرة .

كان الفجر رائعًا ..

وروت أسمهان لأحمد سالم ما لقيته خلال الأيام الثلاثة التى عاشتها من غيره فى القدس .. وأنها كانت أيامًا عصيبة عاصفة .. وشرح لها أحمد سالم ما استقر عليه رأيه .. وظلت أسمهان تسمعه حتى انتهت .

ثم انفجرت غاضبة ..

● وقالت له : هل زهدت فى الكفاح من أجلى .. هل تريد أن تتخلى عنى .. هل وجدت فى هذه الظروف فرصة لتصحح خطأ ارتكبته بزواجك منى ؟ وورطة وقعت فيها ؟

ـ قال لها وهو يحاول أن يسكن روعها : لكنى ما فعلت هذا إلا ومصلحتك أنت فوق أى اعتبار .

● ردت أسمهان وهى تنشج : أنت تعلم أن مصلحتى معك ..

وبدأت تبكى بصوت متهدج ..

● وقالت له : هل نسيت أحلامنا ؟ لقد حققنا جزءًا صغيرًا من الحلم .. وما زال أمامنا أن نكافح لتحقيق بقيته .. لقد شعرت ونحن على ضفاف بحيرة طبريا الجميلة .. باستقرار لم أشعر به فى حياتى .. فلماذا تريد أن تحرمنى منه الآن .

ومدت أسمهان يدها لتدير وجه أحمد سالم ناحيتها ..

● وقالت وهى تنظر فى عينه : هل تريد أن أعود وحيدة شريدة من جديد ؟

والتصقت به وهى تتعلق بذراعه ..

● وهى تقول : سوف نبقى معًا .. برغم كل شىء .. وسوف يبقى زواجنا !

وتنهد أحمد سالم ..

وكأنه كان يريد أن يشهد مارى قلادة الجالسة على المقعد الخلفى أنه غير مسئول عما يحدث ..

ووصلت السيارة إلى حدود القاهرة ..

● وسألته أسمهان : إلى أين ؟

ـ رد أحمد سالم : إلى فندق الكونتيننتال .

● قالت له : لا .

ـ سألها : إذن إلى أين ؟

● قالت : إلى كنيسة سانت تريز .. ثم مسجد السيدة زينب .. ثم كنيسة مارى جرجس !

نظر إليها فى دهشة ..

● فقالت : إنه نذر قديم !

وفعل ما أرادت .. ثم عاد بها إلى فندق الكونتينيتال .. وهناك ارتمت أسمهان على أريكة فى حجرة النوم .

وتنهدت وهى تتثاءب ..

● وقالت لأحمد سالم : أظن أن المسائل سوف تسير كما نريد بعد أن وفيت بالنذر .

لكنها ما كادت أن تنتهى من هذه الجملة .. حتى سمع الاثنان صوت طرق الباب .

ـ صاح أحمد سالم بصوت مرتفع : ادخل .

واعتدلت أسمهان فى جلستها .

وفتح الباب .

وفوجئ الاثنان بأن الذى يدخل .. هو غزالى بك مدير الأمن العام !

★ ★ ★



● كانت مفاجأة مذهلة ..

عندما دق باب حجرة أسمهان فى فندق كونتيننتال وكان معها زوجها الفنان أحمد سالم .. الذى اضطر بناء على تعليمات وزارة الداخلية لتطليقها .. حتى تستطيع أسمهان دخول مصر .. وكانت السلطات البريطانية قد أمرتها بمغادرة فلسطين خلال أسبوع واحد !

وبعد الطلاق وافقت إدارة الأمن العام على دخول أسمهان إلى البلاد .. وذهب أحمد سالم وجاء بها من القطار الذى استقلته من فلسطين إلى القنطرة .

وبعد دخول الاثنين حجرة أسمهان بدقائق .. فجأة دق الباب .. ودخل غزالى بك .. مدير الأمن العام !

قال أحمد سالم : أن دخول غزالى بك على هذا النحو كان مفاجأة كاملة لى .. ويبدو أن هذه المفاجأة كانت متبادلة بيننا .. فقد لاحظت أن غزالى بك قد أخذ لرؤيتى مع أسمهان فى حجرتها .. وهو الذى اتخذ كل ما فى وسعه وسلطانه ودهاؤه للتفريق بيننا !

وقال غزالى بك بصوت مرتبك إنه جاء ليهنئ أسمهان بسلامة الوصول !

وقال إنه علم بدخولها إلى الفندق .. لأنه هو الآخر يقيم فيه .. فسأل حتى عرف أنها تقيم فى الحجرة رقم (١٠) فجاء إليها .

● وسكت غزالى بك ..

وكانت أسمهان تغمغم بكلمة شكر على هذه الزيارة والاهتمام .

وأحست أن غزالى بك لم يجئ لمجرد تهنئة أسمهان بسلامة الوصول .. أو على الأقل أن هذا ليس كل ما يريده من زيارته المفاجئة لأسمهان .. وأحسست أن وجودى هو الذى يمنعه من الإفضاء بالسبب الحقيقى لزيارته !

وانتحلت عذرًا خرجت به من الغرفة !

وبعد عشر دقائق عدت ثانية .. وكان غزالى بك قد انصرف .. ووجدت أسمهان وقد تغير حالها .. كانت قبل أن يجىء غزالى بك تتنهد فى فرح طليق .. وإذا هو يخرج ويتركها كأن شيئًا يجثم على صدرها .. لكنها ما أن رأتنى حتى بدت عليها الرغبة فى الكفاح مرة أخرى ..

همت أسمهان واقفة ..

● وقالت لى : هل تعلم لماذا جاء ؟

- قلت لها : لا أريد أن أدعى العلم بالغيب .. ولكنى أظن ما قاله لك لا يختلف عما كنت أقوله لك ونحن فى السيارة من القنطرة !

نظرت أسمهان نحوى فى دهشة ..

● وقالت : لقد قال لى إننى ما دخلت مصر إلا بضمانته الشخصية ..

وأنه لم يعطنى هذه الضمانة الشخصية .. إلا على أساس أن الطلاق فرقنا للأبد .. وقال لى فى النهاية أنه لا يستطيع أن يضمن ما سوف يحدث إذا أنا لم أبعدك عن طريقى !

ـ قلت لأسمهان : أليس هذا ما توقعته .. وهو ما قلته لك من قبل وأكرره .

وشعرت بأن علىّ أن أبصرها بما سوف تلقاه .. وبما سوف يعترض طريقها من متاعب .

ـ وقلت لها : يا أسمهان .. هناك كثيرون على استعداد لمساعدتك إذا ابتعدت أنا عنك .. ولكنهم مصممون على مضايقتك إذا أنا بقيت فى حياتك !

نظرت إليه أسمهان ومشاعر شتى تعصف بها ..

عزم ودهشة وإشفاق ..

● وقالت لأحمد سالم : عايز تتقهقر ؟

تطلع إليها أحمد سالم ..

ورآها وحيدة حزينة يائسة .. وفى عينيها انتظار للرد عليها .

ـ رد عليها على الفور : لا !

اقتربت منه أسمهان ..

وركزت نظرات عينيها على عينيه .. وقد بدا أنها استقرت على شىء .

● وقالت له : تعرف محامى شرعى كويس ؟

ـ رد أحمد سالم : أعرف أحسنهم !

وبعد قليل كان الاثنان يطرقان باب الشيخ عباس الجمل .. ورويا له كل ما حدث لهما .

● فقال لهما الشيخ عباس : كل هذه حركات غير طبيعية لا يقرها الدين ولا القانون .. ومن رأيى أن الزواج بينكما قائم .. وسوف أذهب لمقابلة فؤاد سراج الدين باشا وزير الداخلية .. لأبين له خطأ الإجراءات التى اتخذت ضدكما .

واقترح الشيخ على أحمد سالم وأسمهان أن يرفعا قضية لطلب إلغاء حكم الطلاق .. فوضع الاثنان الأمر بين يديه وانصرفا ..

وعندما خرجا من مكتب الشيخ ..

● سألت أسمهان أحمد سالم : إلى أين ؟

ـ قال : إلى الفندق .

● سألته أسمهان : ألا نستطيع أن نجد بيتًا ؟

ـ قال لها : هناك بيتى ولكنه صغير .. مجرد ثلاث غرف لا أكثر ولا أقل .

● قالت أسمهان وهى تضحك : نذهب إلى الفندق لا لنقيم فيه .. ولكن لنحزم حقائبنا ونذهب إلى البيت .

وسكتت برهة ..

● ثم قالت : بيتنا !

★ ★ ★

ورغم إحساس أحمد سالم بالسعادة الحقيقية لوجود أسمهان معه وزواجه بها .. إلا أنه كان يخفى فى صدره حزنًا غامضًا لم يكن يعرف له سببًا !

وحين أغمض عينيه لينام بدا له أنه عرف السبب الحقيقى لهذا الحزن !

ففى صباح نفس اليوم وقبل حضور قطار أسمهان فى المساء .. كان أحمد سالم يسير فى الطريق .. عندما التقى بالأستاذ محمد جعفر وهو موظف فى الطيران المدنى .. لكنه أيضًا خبير فى علم الكف .. وقد استوقفه جعفر فى الطريق .. ليسأله متى عاد من فلسطين وكيف حاله ؟

ونظر جعفر فى وجه أحمد سالم .. وكأنه لمح فيه شيئًا ..

● فقال له : ناولنى كفك !

ـ رد عليه أحمد سالم مستنكرًا : هنا .. فى الشارع ؟

● قال جعفر : لا يهم .. ناولنى كفك .

ونزل أحمد سالم على رغبة الرجل .. وأعطاه كفه .. الذى نظر فيه جعفر طويلاً .

● ثم قال : فى كفك زواج .. زواج من أسمهان .. ولكنكما إن تغلبتما على عقبة الموت .. فسوف تعيشان معًا ستين سنة !

ـ سأله أحمد سالم باستنكار : الموت .. موت من ؟

● رد جعفر : موتها هى !

سحب أحمد سالم كفه بسرعة من يد الرجل .

ـ وقال له : لا .. كفاية كده !

★ ★ ★

سعادة ليس بعدها سعادة تلك التى عاشها أحمد سالم وأسمهان كزوجين فى شقته الصغيرة ..

كانت أسمهان أشبه بالطائر المغرد فى العش !

كانت تغنى على الإفطار ..

وتغنى على الغداء ..

وتغنى على العشاء ..

كانت تدخل وهى تغنى .. وتخرج وهى تغنى !

وعاشت أسمهان .. لأحمد سالم .

وعاش أحمد سالم .. لأسمهان .

وكأنه ليس فى الدنيا سواهما .. أو كأنما اغتصبا سعادة الدنيا ، وأن يسرقا من كل الناس هذه السعادة .. لينعما بها وحدهما !

ولم يكن الاثنان فى حاجة إلى أى إنسان آخر !

ولم تكن لديهما أية رغبة فى رؤية أحد من المعارف أو الأصدقاء .. وكأنما قد استغنيا بأنفسهما عن الوجود كله !

ـ وكان أحمد سالم يضحك ويقول لها : أخيرًا .. ضل النحس طريقه إلينا ولم يستطع الاهتداء إلى عنوان شقتنا الصغيرة السعيدة فى الزمالك !

وبدأت أسمهان فى العمل فى فيلمها الذى تعاقدت عليه مع ستديو مصر .. وكان الاستديو ما يزال يعرض عليها كل ما عنده من القصص .. وأخيرًا استقر رأيها على قصة « غرام وانتقام » .

ووجهت أسمهان الدعوة ليوسف وهبى للعشاء فى البيت .. ولكى يقرأ قصة الفيلم لأحمد سالم .

وتحول بيت أسمهان وأحمد سالم إلى « ورشة عمل » لفيلم « غرام وانتقام » .. وأصبح هناك زوار دائمون للبيت .. منهم الشاعر أحمد رامى ورياض السنباطى وفريد الأطرش .. وكان رامى يؤلف أغانى الفيلم فى البيت .. وفى البيت أيضًا يلحن كلماتها السنباطى أو فريد الأطرش .

وكانت أسمهان قد أرسلت كلام أغنية « ليالى الأنس فى فينا » إلى شقيقها فريد الأطرش .. الذى طلبها بالتليفون وأخبرها أن كلام الأغنية وصل إليه .. واقترح عليها لحن البداية .

ـ وقال لها فريد : انتظرى على السماعة .

وأحضر عوده وبدأ يدق عليه اللحن .. وكان يتوقف ليسألها رأيها .. ثم يعود للعزف .. وهكذا أتم لحن الأغنية الجميلة فى نصف ساعة على التليفون !

★ ★ ★

■ **ذات يوم ..**

● جاءت أسمهان فرحة تقول لزوجها أحمد سالم : سوف يكون لنا بيت كبير .. فيلا فى الهرم !

وكان نحاس قد أقنعها بمعونة يوسف وهبى ـ شريكه ـ على التعاقد للعمل معه فى فيلم جديد نظير ٢٩ ألف جنيه .. وكان رقمًا قياسيًا فى عالم السينما المصرية .. وقال لها نحاس إنه سوف يعطيها فيلا جميلة ثمنها ٣ آلاف جنيه كعربون للعقد !

وهكذا انتقل الحلم الجميل الذى كانت أسمهان تعيش فيه مع أحمد سالم من الشقة الصغيرة فى الزمالك .. إلى فيلا كبيرة فى شارع الهرم !

● ويوم انتقل الاثنان إلى الفيلا ..

وقع حادث سعيد .. فقد دق جرس التليفون وكان المتحدث هو الشيخ عباس الجمل .

ـ الذى قال لأحمد سالم : مبروك .. لقد علمت أن المحكمة الشرعية حكمت بإلغاء الطلاق وقيام الزوجية بينك وبين أسمهان !

وشعر أحمد سالم بالسعادة ..

وطارت أسمهان من الفرح ..

فهكذا .. اكتسبت الجنسية المصرية !

اكتسبتها بنص الدستور وبحكم قيام الزوجية .

وزاد اختلاط الاثنين بالناس ..

ونزل حبيب أبو شهلا بك وزير خارجية لبنان ضيفًا عليهما .. ولم يكن البيت يخلو من الضيوف المصريين أو اللبنانيين .

وحاول ستديو مصر التعاقد مع أسمهان على فيلم آخر .. وطلبوا من أحمد سالم أن يكتب قصة هذا الفيلم !

وكتب أحمد سالم القصة فعلاً ..

لكن القدر حال بين أن تمثلها أسمهان .

وهى القصة التى تحولت إلى فيلم بعد رحيل أسمهان اسمه « أصحاب السعادة » !

★ ★ ★

كان محمد عبد الوهاب جارًا لأسمهان وأحمد سالم فى شارع الهرم ..

وكثيرًا ما كان يحضر إلى فيلتهما للسهر معهما ..

وكانت أسمهان تحاول أن تستدرجه بشتى الطرق ليغنى .. فقد كانت تحب صوته .

لكن عبد الوهاب كان دائمًا شحيحًا بفنه فى حياته الخاصة ..

لكن أسمهان ابتكرت حيلة لتستدرج عبد الوهاب إلى الغناء .. فقد كانت تبدأ فى غناء « ديالوج » مجنون ليلى الذى غنته أمامه فى فيلم « يوم سعيد » .. وعندما تصل إلى الجزء الذى تنادى فيه « قيس » .

ينطلق عبد الوهاب رغمًا عنه فى الغناء ..

● ويكمل الغناء : ليلى بجانبى .. كل شىء إذن حضر .. جمعتنا فأحسنت .. ساعة العمر !

وكان عبد الوهاب يعاند أحيانًا ..

ـ وكانت أسمهان تناديه : قيس

فيسكت ولا يرد ..

وتكرر أسمهان النداء .. قيس .. قيس .

• أخيرًا يرد عبد الوهاب : ليلى بجانبى .. كل شىء إذن حضر !

★ ★ ★

الفصل العاشر

مؤامرة .. تحية كاريوكا !

يقولون : إن السعادة دائمًا عمرها قصير !

ويقولون أيضًا : إن السعادة عندما تكتمل وتبلغ ذروتها .. يكون المرء ساعتها على موعد مع الأحزان !

وربما كان هذا ما حدث فى حكاية أسمهان وأحمد سالم !

فقد حدثت قصة الحب بينهما فى القدس بسرعة ..

وتم زواجهما بسرعة ..

وعاد الاثنان إلى مصر .. ورغم كل الظروف الصعبة .. إلا أن الدنيا ابتسمت لهما .. وبدأت أسمهان تعمل فى فيلم « غرام وانتقام » مع ستديو مصر .. وتعاقدت على فيلم آخر .. حصلت على فيلا فى الهرم كعربون له .. وانتقلت للإقامة فيها مع زوجها أحمد سالم .

وشعر أحمد سالم بكل هذه السعادة ..

لكن شعورًا آخر كان يراوده !

لا يعرف لماذا بدأ يشعر أن أسمهان كمن تعرف سرًا وتخفيه .. وكان يرى هذا السر يتوثب فى عينيها .

ـ وذات يوم سألها : هل هناك شىء ؟

ردت أسمهان بسذاجة الملائكة التى يشيع فيها خبث الشياطين .

● وقالت له : أبدًا .. حايكون فيه إيه ؟!

لكنه بالفطرة أحس أن هناك أمرًا ما .. لكنه لم يشأ أن يضغط عليها .

لكن الأيام كانت تحمل الإجابة على هذا السر !

★ ★ ★

●ذات يوم خرجت أسمهان عند الضحى ..

لكنها عادت بعد نصف ساعة فقط .. ولم يكن أحمد سالم قد غادر البيت بعد .. وأمسكت أسمهان بالتليفون تطلب نحاس ..

● وقالت له : هل يمكن تأجيل موعد البدء فى تصوير فيلمك شهرين أو ثلاثة ؟

وبعد أن انتهت من المكالمة .

ـ قال لها أحمد سالم : لكن الوقت الذى حددوه لبدء العمل فى الفيلم كان هو الوقت المناسب فعلاً ؟

● ردت عليه أسمهان : ولكن لن أستطيع أن أعمل فى هذه الفترة .

وكان أحمد سالم لا يزال يشعر أنها تخفى عنه سرًا ..

ـ فقال لها بغيظ مكتوم : ليه بقى يا ستى ؟

ابتسمت أسمهان فى دلال وقد فهمت أنه متغاظ .

● وقالت له : كنت اليوم عند الدكتور ليفى لينز .

ـ قال أحمد سالم بضيق : وإيه يعنى ؟

● قالت أسمهان : بس لو ماكنتش تزعل .. إنت لسه ما فهمتش ؟

ـ سألها : أفهم إيه ؟

● قالت : سوف تصبح أبًا !

نظر إليها فى ذهول ..

ـ وسألها : سوف أصبح أبًا ؟

● قالت وهى تقفز فى الغرفة وتلف فيها راقصة : أيوه !

ثم فجأة توقفت عن الرقص ..

● وقالت وهى تضحك : أظن أن المجهود العنيف لا يناسبنى الآن .

وانفجرت ضاحكة ..

ولم يستطع أحمد سالم سوى أن يجاريها فرحتها فانفجر هو الآخر ضاحكًا .

لكن الحقيقة أنه كان يخفى مشاعره الحقيقية عن أسمهان !

★ ★ ★

ذات يوم دق جرس التليفون فى الفيلا ..

وكان المتكلم ضابطًا فى إدارة الجوازات اسمه «بشرى» .. وطلب أن يكلم أسمهان .. وأخبرها أنها مطلوبة فى إدارة الجوازات فى اليوم التالى .. وقضت أسمهان يومها حائرة قلقة .

● وكانت كل دقائق تسأل : ماذا يريدون منى ؟!

ثم تلفتت فى ضيق لأحمد سالم ..

● وقالت له .. هل سنعود ثانية إلى نفس اللعبة البغيضة .. لعبة القط والفأر ؟

وفى اليوم التالى ..

ذهبت أسمهان إلى إدارة الجوازات وسألها الضابط عن أحمد سالم .

● فقالت له : هو زوجى !

ـ قال لها الضابط : أظنك مطلقة ؟

لم تستطع أسمهان أن تحتفظ بهدوئها : فثارت فى وجه الضابط .. وأظهرت له حكم المحكمة الشرعية بإلغاء الطلاق .. وعادت إلى البيت متوترة ثائرة الأعصاب .

★ ★ ★

وفى صباح اليوم التالى ..

دعيت أسمهان لمقابلة غزالى بك مدير الأمن العام .

وعادت عند الظهر محطمة الأعصاب .. وروت لأحمد سالم ملخصًا لما دار بينها وبين غزالى بك .. لكن تكرر استدعاؤها لمقابلته بعد ذلك عدة أيام .

ولاحظ أحمد سالم أن أسمهان تتحاشى أن تروى له ما دار بينها وبين غزالى بك فى هذه المقابلات .. وكانت تعود صامتة لا تتكلم .

لكن أحمد سالم كان يتصور ما يحدث فى هذه المقابلات .. لأنه كان يعلم أن مدير الأمن العام قال لها ذات مرة .. برغم أنها اكتسبت الجنسية المصرية بزواجها من أحمد سالم .. إلا أن ظروف الأحكام العرفية تعطيه الحق فى إخراجها من مصر !

وكان مدير الأمن العام قد استعلم من ستديو مصر عن المدة الباقية على إنجاز فيلم « غرام وانتقام » فعلم أنها ثلاثة أسابيع .. وقال لأسمهان أنه حرصًا على مصلحة ستديو مصر المالية .. فإنه سيصبر عليها هذه الأسابيع الثلاثة .. فإن ابتعدت عن أحمد سالم فسوف يتركها فى حالها .. وإن أصرت على البقاء معه فسوف تخرج من مصر !

كانت أسمهان تتحمل كل هذه الضغوط ..

وتقابلها بابتسامة هادئة مشرقة !

وذات يوم خرج الاثنان أسمهان وأحمد سالم من الفيلا فى الصباح واتفقا على اللقاء فى البيت عند الغداء .

وعاد أحمد سالم فى الساعة الواحدة ظهرًا .. فلم يجد أسمهان فجلس ينتظرها .

ومرت ساعة وساعتان وثلاث ساعات ..

وبدأت الأفكار والظنون تهدر فى رأس أحمد سالم مثل الدوامة ..

وعند الساعة الرابعة دق جرس التليفون .

وكانت أسمهان ..

وقالت لأحمد سالم إنها كانت مدعوة على الغداء فى الخارج عند شقيقها فؤاد الأطرش .. وإنها سوف تروى له كل شىء عندما تعود .

وازداد قلق أحمد سالم !

وخيل إليه أنه كان فى صوتها وهى تتكلم فى التليفون نذير خفى !

وانقبض قلبه !

★ ★ ★

وعادت أسمهان إلى البيت ..

وسألها أحمد سالم إن كانت فعلاً عند فؤاد الأطرش ؟

● قالت له : طبعًا .. أنا قلت لك فى التليفون إننى سأتغدى عنده .

وسكت أحمد سالم ..

لكن ما هى إلا برهة حتى كشفت أسمهان أنها لم تكن تقول الحقيقة .. أو على الأقل ليس كل الحقيقة !

نادت أسمهان أحد الخدم وسألته وهى تتصور أن أحمد سالم لا يسمعها إن كان هناك شىء يؤكل ؟ وهنا عرف أحمد سالم أنها لم تكن عند شقيقها فؤاد الأطرش ولم تتناول الغداء عنده !

فأين كانت ؟

وما سر وجومها ؟

ونظر إليها وهى تحاول أن تمسك أعصابها بشدة لكى لا تنفجر باكية !

ـ وسألها مترددًا : أهناك شىء ؟

● ردت أسمهان بسرعة : أبدًا .

وتمنى أحمد سالم لو أنها تكلمت .. وأفضت له بمكنون نفسها .. ليواجها الموقف معًا أيًا كان .

ثم دق جرس التليفون ..

وتناولت أسمهان السماعة ..

● وقالت : ألو .. مين عاوزه ؟

ثم هزّت رأسها ..

● وقالت : حاضر .

وناولت أحمد سالم السماعة .

ـ وكان يسألها : مين ؟

● قالت له : صاحبتك « ت » .

وكانت تقصد تحية كاريوكا .. وسأل أحمد سالم نفسه ما الذى يدعو تحية كاريوكا لأن تكلمه الآن ؟

وتناول السماعة ..

ـ وقال لتحية كاريوكا : عاوزة إيه ؟

ولم تكن تحية كاريوكا تريد شيئًا محددًا .. وأحس أحمد سالم من كلامها أنها تمثل دورًا .. واشتد به الغيظ .

ـ فقال لها : هو ده الوقت إلى اخترتيه للدلع ؟

ووضع السماعة !

وجرى وراء أسمهان التى كانت بالطبع غاضبة .. ثم تحول غضبها إلى ثورة .. لكن لسبب غير مفهوم شعر أحمد سالم أن ثورة أسمهان ليست من قلبها .. وأنها هى الأخرى تمثل دورًا مرسومًا !

وبعد دقائق تحول شكه إلى يقين !

اقتربت من الفيلا سيارة جيب .. ولم يكن يستعمل سيارات الجيب وقتها سوى الجيش الإنجليزى وإدارة الأمن العام .. ونزلت من هذه السيارة تحية كاريوكا .. ودخلت البيت .. وبدأت تواصل تمثيل المهزلة التى بدأتها فى التليفون !

أسرع أحمد سالم ناحية جناح الخدم ..

واستدعى سائق سيارته ..

ـ وسأله : كنت فين النهاردة مع الست ؟

قال السائق إنه أوصلها فى الصباح إلى الخياطة .. وطلبت منه أن يعود ليأخذها بعد الظهر من فندق الكونتينيتال .. وعندما ذهب إلى الفندق سأل عنها فقالوا له إنها فى جناح غزالى بك مدير الأمن العام .. فصعد إلى الجناح وهناك وجدها تجلس مع غزالى بك وتحية كاريوكا .

وانكشفت المؤامرة الصغيرة أمام أحمد سالم ..

وعاد إلى صالة الفيلا حيث كانت أسمهان ما زالت تقف مع تحية كاريوكا .

ـ وقال لهما وهو يكاد ينفجر : هذه مؤامرات لا تجوز علىّ !

وبدأ يصعد السلم متجهًا إلى حجرته ..

ـ لكنه صاح عندما وصل إلى أعلى السلم : ينقصكم الشريك الثالث .. حتى تتم المسرحية !

ودخل حجرته والدم يغلى فى عروقه وأغلق بابها على نفسه !

★ ★ ★

ولأول مرة منذ تزوج أحمد سالم أسمهان بدأ يشعر بالندم !

ما كان أغناه عن هذا كله ..

ولماذا تتصرف أسمهان معه بهذه الطريقة ؟

بعد قليل نظر أحمد سالم من النافذة ..

لم يجد السيارة الجيب .. وهبط ليجد أن تحية كاريوكا قد انصرفت .. لكنه لمح رجلين يقفان خارج الفيلا .. فنادى أحد الخدم يسأله من هما ولماذا يقفان بجوار البيت ؟

وعاد الخادم بعد قليل .

● ليقول له : الرجلان كانا قد حضر فى السيارة الجيب مع تحية كاريوكا .. وهما يقولان أنهما مخبران فى البوليس !

وجن جنون أحمد سالم !

وأسرع يطلب مأمور قسم شرطة الجيزة ويسأله بأى حق يضع مخبريه أمام بيته .

● قال له المأمور فى دهشة : لكنى لم أرسل أى مخبر من عندى !

وحضر المأمور بنفسه ..

وتحدث مع المخبرين ..

وكانت النتيجة أنه .. بقى هو الآخر !

★ ★ ★

ولم يجد أحمد سالم ما يفعله سوى أن يعود إلى حجرته ..

وأخذ يفكر أنه لم يعد أمامه إلا طريقان .. أولهما أن يعود إلى بلده « أبو كبير » بالشرقية وينسى هذه القصة المؤلمة من حياته .. وثانيهما أن يقبل التحدى ويبقى !

وغلبه عناده !

وارتمى على الفراش وهو مصمم على البقاء وليكن ما يكون .

لكن فى الصباح غير أفكاره ..

نظر من النافذة التى تنسكب منها أشعة الشمس إلى الغرفة الساكنة .. وألقى نظرة من الحديقة الهادئة .. والحقول المجاورة المترامية .. والمنازل التى يسرى فيها الهدوء والسلام .

وامتلأت مشاعره بالرغبة فى تجنب أى مشاكل !

وترك النافذة وبدأ يحزم حقائبه وفى نيته أن يسافر فورًا إلى بلدته « أبو كبير » .

لكن الأقدار كانت ترسم تفاصيلاً أخرى غير ما أراده أحمد سالم .

فى الساعة السادسة ..

جاءت الخادمة فاطمة إلى حجرته ..

ـ وقالت له : الست تطلبك على التليفون .

ونهض ليحدث أسمهان ..

قالت له إنها فى بيت إحدى صديقاتها .. وأنها قضت وقتًا سيئًا منذ خرجت من البيت .. وأنها تحس بأنها دفعت فى طريق لا تريد السير فيه .. وأنها نادمة .

● ثم أضافت فى النهاية : تعال دلوقت .. وخدنى !

ولم يملك أحمد سالم سوى أن يوافقها فى الحال .

وفى بيت صديقتها وجد أحمد سالم أسمهان مشتبكة فى مناقشة مع مارى قلادة .. وكانت مارى تحاول منعها من العودة إلى أحمد سالم .. الذى كان يدرك فى أعماقه أن مارى على حق .. لكنه كان كما كانت أسمهان نفسها فيما يشبه الغيبوبة !

وأخذ أسمهان وانصرف .

وعاد معها إلى فيلتهما بالهرم يحلم بفترة من الهدوء .

لكن موعد النهاية مع القدر كان قد حان .. بأسرع مما يتوقع أحمد سالم .. أو تتخيل بطلة القصة نفسها أسمهان !

★ ★ ★

الفصل الحادى عشر

وتحققت نبوءة .. قارئ الكف !

تلك كانت الليلة الأخيرة فى قصة أسمهان وأحمد سالم !

والليلة قبل الأخيرة .. فى حياة أسمهان !

وقد كانت مليئة بالأحداث العنيفة والمثيرة .. ولأنها مشهد من فيلم درامى أو بوليسى .

وقد دارت هذه الأحداث فى فيلا أسمهان وأحمد سالم بالهرم ..

كان أحمد سالم فى غرفته مع أسمهان ..

وحضر أحد الخدم ليقول لهما إن اليوزباشى « إمام » من ضباط البوليس السياسى ـ الأميرالاى محمد إمام ـ فى صالة الفيلا .. ومعه ضابطان يطلبون مقابلة أحمد سالم .

وفى البداية أصيب أحمد سالم بالدهشة !

ثم بدأ يشعر بالخطر ..

ونظر إلى أسمهان ..

ـ وقال لها : هل هذه بقية الرواية ؟

● ردت أسمهان بسرعة : أقسم لك إننى لا أعلم شيئًا !

ثم استطردت بصوت خافت .

● قائلة : ربما كانت مارى .

وسكتت برهة ..

● ثم قالت له : سوف أنزل وأقنع الضباط بأن يتركونا وينصرفوا ..

وهنا نهض أحمد سالم وأحضر مسدسه ..

ثم عاد إلى فراشه ..

وسمع أسمهان تنزل السلم .. وسمعها تتحدث مع اليوزباشى محمد إمام الذى قال إنه يطلب مقابلة أحمد سالم وإنه تلقى أوامر من سليم زكى بك حكمدار العاصمة بأن يحافظ على أسمهان لأنه يعتقد أن أحمد سالم قد يكون خطرًا عليها !

وسمع أسمهان تقول للضابط إن كل شىء هادئ وعلى ما يرام !

لكن الضابط إمام كان مصرًا على الصعود لأحمد سالم فى حجرته بالطابق الأعلى ..

● وقالت له أسمهان : اسمع .. أحمد معه مسدس وأخشى أن يؤدى صعودك بهذا الشكل إلى عواقب وخيمة .

لكن أحمد سالم سمع صوت اليوزباشى محمد إمام يصعد درجات السلم .. ثم سمعه يطرق باب حجرته .. ويدخل بالفعل .

دخل اليوزباشى إمام حجرة أحمد سالم متظاهرًا بالهدوء .

● وقال له : لقد جئت فقط لأطمئن .

ثم ابتسم ابتسامة عريضة ..

● واستطرد : هذا يهمنى .. لأننى معجب بك منذ زمن طويل .

ورد أحمد سالم على تحية الضابط ..

ـ وقال له : لقد سبقتنى .. فقد كنت أريد أن أهنئك على نجاحك المتلاحق .

وكان أحمد سالم يشير إلى نجاح اليوزباشى محمد إمام فى حادث القبض على عزيز المصرى وأحمد حسين .

لكنه اكتشف أن نظرات اليوزباشى إمام كانت متجهة إلى مسدسه الذى كان بجواره .

وبرق فى ذهنه خاطر سريع كالبرق ..

هذه ستكون فرصة رائعة للتخلص منه .. إن بجواره مسدسًا غير مرخص .. فى زمن حرب وأحكام عرفية .. وحمل سلاح بدون ترخيص فيها يعد جريمة .

ونظر فى عينى اليوزباشى إمام ..

وخيل إليه أن لقاء الأعين كان مثل لقاء سيفين !

ونهض اليوزباشى إمام ليتحدث بالتليفون .

وعاد مرة أخرى ..

ثم ذهب ليتكلم بالتليفون .. وعاد مرة ثالثة !

وعاد أحمد سالم يشعر بالخطر ..

ودق جرس التليفون .. وكان المتحدث سليم زكى بك حكمدار العاصمة وكان يريد أحمد سالم .

وأمسك أحمد سالم بالسماعة ..

ويبدو أنها كانت حيلة دبرها اليوزباشى إمام لينتزع مسدس أحمد سالم .

وهجم اليوزباشى إمام على أحمد سالم محاولاً انتزاع المسدس ..

لكن أحمد سالم استمات على المسدس .

وفى لحظة أفلت زمام الموقف ..

ودوت رصاصة ..

ثم دوت رصاصة أخرى ..

وأحس أحمد سالم بشىء بارد يسرى فى جسده !

★ ★ ★

وقع اليوزباشى محمد إمام على الأرض ينزف دمًا ..

واعتدل أحمد سالم فى الفراش ينظر إليه .. دون أن يستطيع التحرك .

وفجأة أحس بشىء ساخن ..

ونظر فوجد نفسه ينزف بغزارة .

وعرف أنه أصيب .

ولم يفقد الوعى .. ولم يكن يحس بشىء .. إلا براحة غريبة !

قبل دقيقة واحدة كان يحس أنه فى دوامة أحداث لا تتوقف .. فلما أطلق الرصاص وسقط الضابط وأصيب هو .. توقف كل شىء فجأة .. وأحس أنه أصبح بعيدًا عن الدوامة .

كأنه كان يجلس على مقعد فى مسرح .. يشاهد مسرحية لا يلعب فيها أى دور !

وأسرع الضابطان إلى أعلى وحملا مع الخدم اليوزباشى محمد إمام .. ثم حملوا أحمد سالم ووضعوا الاثنين فى سيارة إسعاف حملتهما إلى قصر العينى .

وكان أحمد سالم رغم الإصابة والنزيف يشعر بكل شىء حوله ..

وابتسم وهم يحملونه إلى حجرة الكشف ..

فقد نظر إلى السرير المجاور لسريره .. فوجد اليوزباشى إمام راقدًا عليه !

★ ★ ★

لكن أحمد سالم بدأ يشعر أن ابتسامته بدأت تختفى رويدًا رويدًا ..

وأيضًا بدأ شعوره بالوعى يتبخر ..

وقبل أن يغيب عن الوعى نهائيًا شعر أن باب الحجرة قد فتح .. وأن بعض الناس قد دخلوا .

وفتح عينيه وحاول أن يعرف شخصياتهم .

ورأى الدكتور عبد الله الكاتب واثنين من مساعديه ..

وبدأ يحس أنه انقسم .. إلى نصفين !

وكأن روحًا غير منظورة خرجت من جسده .. وجلست على منضدة فى الحجرة تراقب ما يحدث .. وتحلق بين الحين والآخر فى جسده الذى ينزف بغزازة !

ورأت هذه الروح الدكتور الكاتب يفحص إصابة اليوزباشى محمد إمام .

● ثم يقول : إصابة سطحية .

ثم يستدير فيفحص أحمد سالم فحصًا دقيقًا ..

ـ ثم يقول : لا أمل ..

★ ★ ★

بعد عشرة أيام ..

أفاق أحمد سالم أخيرًا ..

فوجد الدكتور إسماعيل السباعى ينحنى عليه فى هدوء وهو يجس نبضه ..

ـ قال أحمد سالم فى ابتسامة ذابلة : لا تتعب نفسك يا دكتور أنا أعلم كل شىء !

فقد كان أحمد سالم واثقًا من أنه سوف يموت ..

لكن الدكتور إسماعيل ابتسم .

● وقال له : معلوماتك متأخرة .. لقد كان هذا صحيحًا منذ عشرة أيام .

ـ صرخ أحمد سالم : عشرة أيام ؟

● قال الدكتور : نعم .

ـ قال أحمد سالم : هل مضت علىّ عشرة أيام هنا ؟

● قال الدكتور السباعى : لقد كنت فى غيبوبة .

وأحس أحمد سالم بالحياة تجرى فى عروقه .

وانتابه شعور غريب .

وجاءت إحدى الممرضات تقول إن هناك شخصًا يلح فى رؤيته اسمه جعفر .

وتذكر أحمد سالم قارئ الكف ..

ـ فقال لها : دعيه يدخل .

ودخل صديقه جعفر ..

ـ قال له أحمد سالم بصوت خافت : لقد صحت نبوءتك .. ولكن بالعكس .. سأموت أنا وليس هى .

● قال جعفر : أبدًا .. وسوف ترى !

وأخرجه الطبيب من الحجرة ..

وكان أحمد سالم قد بدأ يشعر بالغيبوبة مرة أخرى ..

وذهب فى هذه الغيبوبة ثلاثة أيام كاملة ..

ثم أفاق ..

وفتح عينيه ليجد أمه تمسك بيده .. ورأى ابتسامتها الحبيبة المشرقة .

وشعر أنه عاد إلى الحياة ..

ثم دخلت إحدى الممرضات وهمست بشىء فى أذن أمه .

ولاحظ أحمد سالم اضطرابا فى الغرفة .

ـ وسألهم : فيه إيه ؟

لم يرد أحد ..

عاد ليلح فى السؤال ..

● قالت له أمه أخيرًا بصوت مرتعش : يقولون أن أسمهان ماتت فى حادث سيارة .

وتحامل أحمد سالم على نفسه ..

ـ وهتف : هذا سخيف .

لكن بعد دقائق دخل الدكتور السباعى الحجرة .. وقال للجالسين أنه يرى أن يتركوا أحمد سالم وحيدًا وأن يخرجوا جميعًا .

وخرج الجميع ..

وأغلق الدكتور السباعى باب الحجرة .. وترك احمد سالم وحيدًا .

لكن بعد ساعة عاد ودخل ..

ونظر فى عينى أحمد سالم .

● وقال له : كنت أعلم أنك فى حاجة للبكاء !

★ ★ ★

رقم الإيداع : ٢٠٠٤/١٠٦٩٩
الترقيم الدولى : ٦ ـ ٠٩٩ ـ ٣٧٨ ـ ٩٧٧

أشهر الحوادث والقضايا

الحوادث العنيفة والقضايا المثيرة التى روّعت الناس وصدمت المشاعر

- قصة أسمهان التى لم تنشر.. عندما حولها أمير الصحافة محمد التابعى إلى سيناريو فيلم مثير.
- قصة الغرام بين أميرة الدروز.. وأمير الصحافة.
- قصة ليالى الأنس.. فى فندق الملك داوُد بالقدس.
- قصة الفارس الأخير فى حياتها.. أحمد سالم.. حتى الليلة الأخيرة قبل مصرعها الغامض.



الثمن فى مصر ٣٠٠
وما يعادله بالدولار الأمريكى
فى سائر الدول العربية والعا



